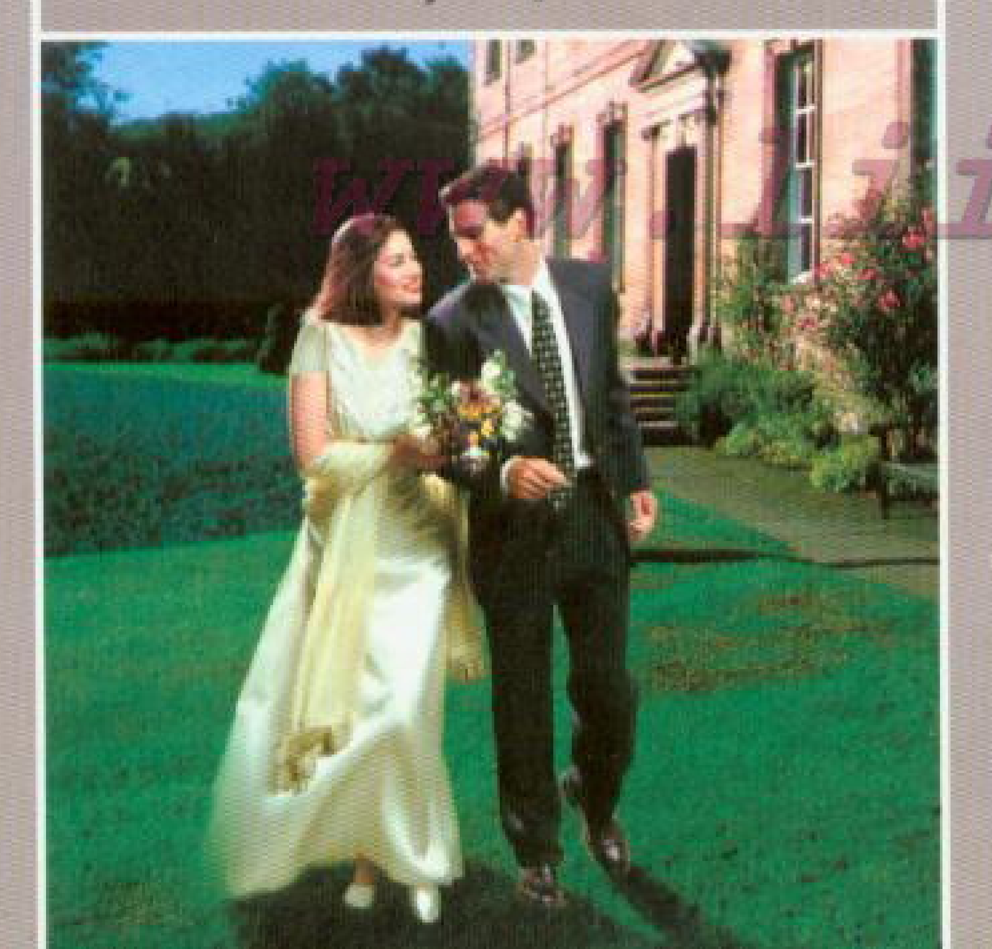


روايات احلام



أعيش لأجلك

لَيْ ميتشِل



أعيش لأجلك

- أنا لن أتزوج من هذا الرجل.

فقال جون بجفاء: «هذا ما فهمته. ما الذي تريدين أن تفعليه إذن؟»

- أنا... راحلة. أرجوك! أنا في منتهى القنوط. هل لك أن تساعدني على الهرب؟

ضاقت عيناه: «أخبريني بالضبط عما أستفيده من هذا».

رفعت بصرها إليه وقالت بصوت مختنق: «ما الذي تريده؟»

ما الذي يريده جون كلارك من كاترين؟ هناك خياران تعرف أن كليهما سيحرقه!

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١.٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال

البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٨ جنيه
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-151-2

١ ـ ما زال العريس منتظراً

نظر انطوان إلى كاثرين في المرآة، ثم أخذ يمشط شعرها الأسود اللامع حتى انسدلت خصلاته على كتفي ثوبها الأبيض. قطب قليلاً وهو يتراجع إلى الخلف ليتأمل شعر زبونته، ثم أمسك بمثبت الشعر ليثبت به خصلة تائهة.

تحركت كاثرين بضيق: «ألم تنته بعد؟».

ـ عليك بالصبر، يا آنستي. عندما تقابلين عريسك يجب أن يكون كل شيء في مظهرك على ما يرام.

أشار بإصبعه: «الطرحة».

أتته مساعدته وناولته إكليل الأزهار البرتقالية وقد تدلى منه نقاب رقيق يكاد يطير في الهواء، ويصل إلى الأرض كما يزيّن حاشيته دانتيل شبيه بذلك الذي يزين الثوب. وعندما ثبت الإكليل بمهارة، قال: «الآنسة متلهفة للقاء عريسها، أليس كذلك؟».

قالت كاثرين بصوت منخفض: «الآنسة متلهفة إلى الانتهاء».

أدخل انطوان آخر دبوس في شعرها قائلاً: «ها قد انتهى كل شيء. سأكون بانتظارك في أعلى السلم لأطمئن إلى أن كل شيء على ما يرام».

فكرت كاثرين بأنه من المستحسن أن تنتظر نصف ساعة أخرى قبل أن تغادر غرفتها وتتوجه إلى الهيكل المؤقت الذي شيد في قاعة الرقص في الطابق السفلي.

أخذ مساعد انطوان يجمع أدواته، بينما وقفت خادمة كاثرين تشرف عليها تطمئن إلى أن المزيّن لم يترك أي عيب في تبرّجها، فقالت لها كاثرين وهي تبعدها عنها: «ما زال تبرجي جيداً، يا اليزا. إنزلي إلى المطبخ من فضلك وأحضري لي كوب شاي».

ـ سأتصل ليرسلوه إليك، لكنني أرجو ألاّ تهرقي الشاي على ثوبك الجميل هذا يا آنسة كاثرين.

انقبضت يدا كاثرين على حافة منضدة الزينة: «لا بأس، دعي الشاي، واذهبي عني. بعد كل هذه الفوضى، أريد أن أنفرد بنفسي لعدة دقائق، يا اليزا».

ـ طبعاً يا آنسة.

وخرجت الخادمة، متوقفة قليلاً لتمسك الباب لمساعد المزيّن، الذي قال للخادمة وهو يمرّ بجانبها خارجاً من الباب: «ثورة أعصاب تصيب كل عروس قبل الزفاف مباشرة وذلك جرّاء الإثارة التي تشعر بها».

أدارت كاثرين عينيها. كلمة (إثارة) ليست الكلمة التي تصف حالتها بل الانتفاض والارتعاش هما الأصح لوصفها وذلك بعد يوم عوملت فيه بالشدّ والدفع وكأنها دمية. ولهذا افترضت أنه من الطبيعي، بعد كل هذا، أن تشعر بشيء من التوتر.

أخيراً، أصبحت الغرفة هادئة، وقفت وهي تنفض تنورة ثوبها الواسعة المصنوعة من الساتين والدانتيل. إلا أنها لم تنظر إلى ثوبها في المرآة، إذ أن شخصاً آخر سيطمئن إلى أن مظهرها لائق قبل أن تهبط السلم مستندة إلى ذراع أبيها.

لم تكن كاثرين تهتم بذلك بشكل خاص. كل ما كانت تريده هو أن ينتهي هذا العرس... عرس القرن كما سمّته الصحف.

لم تكن كاثرين منزعجة لأن الشكوك تساورها فقد اتخذت قرارها هذا بعقلانية، بعد أن فكّرت ملياً بكل المعطيات وقررت أن دوغلاس سيكون

زوجاً مناسباً لها... كما لم يطرأ ما يدفعها إلى تغيير رأيها. فكلّ الصفات التي تتمنى وجودها في زوجها العتيد وجدتها في دوغلاس كما أن والدها وافق على زواجهما. دوغلاس موظف هام في شركة أبيها جوك كامبل. سلوكه حسن، وسيم، ويعرف الأشخاص أنفسهم الذين تعرفهم كما أنه لم يرفع عليها يداً ولا صوتاً قط. والأهم من كل هذا في نظر كاثرين، هو أنه يملك مالاً كافياً يحول دون طمعه بأموالها.

لا، حتماً لا تساورها الشكوك حول قرارها بالزواج من دوغلاس. تجهيزات العرس هي التي سببت لها هذا التعب.

راحت كاثرين تتذكر متأملة، أحداث هذا العرس الرسمي. فأدركت أنها تقوم بجهد بسيط بالمقارنة مع سرور والدها. لقد أرادها أن تكون عروس الموسم الرائعة فاستجابت لرغبته وساعدته في تأدية واجبه الاجتماعي على أكمل وجه إذ دعا خمسمئة ضيف إلى عرسها.

تنهدت كاثرين. ليس من عادتها أن تكون ساخرة إلى هذا الحد. لا بد أن سبب ذلك هو الإرهاق الذي تملكها بعد شهور قضتها وهي تتخذ القرارات وتقيس الملابس. ولكن هذا أصبح من الماضي الآن.

فتحت الباب المؤدي إلى الشرفة ونظرت إلى الخارج بحذر. كانت غرفتها في الناحية الخلفية من المنزل، ومن المفترض أن يدخل الضيوف جميعهم من المدخل الأمامي، إلاّ أنها حرصت على أن تبقى قريبة من الأبواب، بعيدة عن حافة الشرفة الصغيرة، وبهذا لن يلمحها أحد حتى ولو ضلّ طريقه.

ورغم أنها لم تتكىء على الحافة إلاّ أنها استطاعت على الأقل، ملء رئتيها بالهواء النقي فهدأت. شعرت بأن هذه الأنفاس هي الأولى التي تلتقطها هذا النهار. كان الهواء دافئاً. ولو علمت أن الصيف سيكون دافئاً هذا العام، لاختارت قماشاً أرقّ وأخف وزناً لثوب عرس. فالرقص في هذا الثوب سيكون...

كان باب الغرفة المجاورة المؤدي إلى الشرفة مشقوقاً، فسمعت تمتمة رجال مما أثار أعصابها. يبدو أنها لا تستطيع البقاء بمفردها حتى على شرفتها الخاصة. لقد أرهقت كل الثرثرة التي أحاطت بها طوال النهار سمعها، فرغم محاولتها الابتعاد عن مصدر الصوت، إلا أنها لم تستطع ردع نفسها من سماع بعض الكلمات.

سمعت رجلاً يقول: «وفي الوقت المناسب بالضبط. بعد شهر يكون دوغلاس وراء القضبان».

جاء الجواب تمتمة لم تسمعها كاثرين جيداً. ولا بد أن المتكلم كان يدير ظهره لباب الشرفة.

قال الرجل الأول: «نعم. اضطر إلى أن يستدين مني لكي يستأجر البذلة الرسمية للحفلة لأن حسابه المصرفي قد نفد».

ثم تمتمة أخرى: «السبب في ذلك هو سلوكه دروباً غير أخلاقية. أمل في أن رحلته الأخيرة إلى ڤيغاس... أنت تعلم، عندما كان مفروضاً فيه أن يكون في سان دييغو يتدبّر زبائن لجوك، أن تسوّي هذه الرحلة أموره فيستغني عن اضطراره إلى المضي قدماً في هذا الأمر. إلا أن الأمر انتهى بأن أصبح مديناً للكازينو أيضاً، وأنت تعرف تصرفاتهم عندما يبدأون بجمع ديونهم، ولو تقرر موعد هذا الزفاف الشهر القادم، لتزوّجت الآنسة كامبل لوح الثلج رجلاً محطم الركبتين».

حدثت كاثرين نفسها بأن هذا غير ممكن... لا يعقل أن يكون المقصود بحديثهما دوغلاس.

ولكن لا يمكن لحديثهما أن يكون عن شخص آخر. كما أنها سمعت في صوت المتحدث نبرة هادئة فاترة أقنعتها بأنه يقول الحقيقة... أو على الأقل، يورد الوقائع كما يراها. ومع ذلك، يمكنه أن يكون مخطئاً، لِمَ لا؟ ربما كان يسيء تفسير ما قاله دوغلاس أو فعله.

لكن الشعور بالخواء في أعماقها لم يتبدّد.

انسلت عائدة إلى غرفتها، ثم قرعت الجرس منادية خادمتها. كانت الدقائق القليلة التي انتظرت فيها اليزا، أطول ما مر عليها في حياتها.

دوغلاس، أتراه مدمناً على المقامرة إلى حد جعله يظن أن ذهابه في رحلة إلى لاس ڤيغاس للمقامرة هو سبيل يسدد به ديونه السابقة في القمار؟ دوغلاس، الشخص الذي لطالما اعتبرته حريصاً في نفقاته هو فقير جداً بحيث لا يملك ثمن سترة رسمية يرتديها في عرسه؟ لقد سبق ورأته يرتدي سترات رسمية مرات عدة. لذا لم يخطر في بالها أنه قد لا يملك سترة كتلك التي يرتديها. لقد أصبح دوغلاس رجلاً يائساً لدرجة جعلته يخطط للزواج منها...

دقت اليزا الباب ودخلت، وقد بدا عليها التردد. كبحت كاثرين أول خاطر تملكها وهو أن ترسلها بلهفة، لكي تستدعي أباها جوك كامبل في الحال. لم تجد ضرورة لإرسال تنبيه، فلا أحد يعلم أكثر من كاثرين سرعة انتشار خبر ممتع كهذا، في منزل كامبل.

عوضاً عن ذلك، قالت لإليزا بهدوء: «أرجوك أن تخبري أبي بأن يحضر إلى هنا الآن».

بدا التشوش على اليزا: «لكنه يستقبل الضيوف، يا آنسة كاثرين. وما زال هناك وقت طويل قبل العرس. وقد قلت لي بنفسك إنه سيتأثر جداً عندما يسلمك إلى عريسك لذا لا تريدينه أن يراك إلاّ حين تكونين جاهزة لدخول الكنيسة...».

ـ لقد غيرت رأيي، وأريد أن أمضي بعض الوقت مع أبي. أخبريه بهذا أرجوك.

أومأت اليزا برأسها ثم خرجت.

أخذت كاثرين تذرع غرفتها... مدت يدها أكثر من مرة إلى رأسها تحسس اكليلها ونقابها، أو تتلمس أزرار ثوبها الصغيرة المتراصة من الخلف... ختم الخياط المشهور الذي خاطه... والذي طلب مالاً كثيراً

لقاء ثوب عرسها هذا. ويا للسخرية فهي عاجزة عن فك أزرار هذا الثوب بمفردها لتخلعه! أجفلت لهذه الفكرة. . . أتراها قررت أنها لن تكمل عرسها هذا بغض النظر عن رأي أبيها؟

قرع الباب بحزم وأطل أبوها برأسه سائلاً: «أيمكنني الدخول؟».

استدارت كاثرين إليه تواجهه: «أبي. . .».

وعضت شفتها لأنها لم تعرف ما عليها قوله. لَمَ لم تفكر في هذا قبل أن تستدعيه؟

- ما أجملك يا حبيبتي! أنت جميلة كأمك، وهذا يعني لي الكثير. قالت اليزا إنها تظنك مستوحشة هنا وحدك. أتريدين صحبة الرجل العجوز؟

- أردت أن أتحدث إليك. نعم. لقد غيرت رأيي.

- بالنسبة إلى الزواج؟ آه، الآن. الوقت متأخر قليلاً بالنسبة إلى ذلك، ألا تظنين هذا؟

- بل بالنسبة إلى دوغلاس. أبي. . .

- إنه رجل ممتاز. فيه كل الصفات التي أتمنى أن يتمتع بها صهري.

أخذت كاثرين نفساً عميقاً: «ألم تساورك الشكوك نحوه أبداً؟».

أتراها لمحت في عينيه ومضة تردد؟ لكنه قال بحزم: «كلا، يا عزيزتي. ولن تغيري رأيك، إنها حتماً أعصابك المتعبة. كانت أمك عصبية أيضاً يوم زفافنا لدرجة أنها أرسلت تستدعيني قبل دقائق من الزفاف طالبة مني إلغاءه. وطبعاً لم يحدث هذا. . . وانظري كيف كانت حياتنا. . . خمسة وعشرون عاماً من السعادة. . . ولكانت سعادتنا استمرت لولا. . .».

واختنق صوته كعادته كلما أتى على ذكر موت زوجته.

أخذت كاثرين تنظر إليه وهو يجاهد للسيطرة على عواطفه. كان ذلك أصعب من العادة الآن، لأن هذا اليوم يزخر بالمشاعر.

- أبي، أنا آسفة حقاً لإفساد الأمور، لكن ما أقوله الآن لا علاقة له بأعصابي المتعبة.

- لا تكوني سخيفة، يا كاثرين.

نادراً ما يكلمها والدها بهذه اللهجة الصارمة. أحست بشيء يعصر فؤادها. أمّا هو فقال لها: «تتوتر أعصاب العروس يوم زفافها. فإذا تصرفن جميعهن تبعاً لمشاعرهن، لبطل نظام الزواج من أساسه. أنا ذاهب إلى الطابق الأسفل لكي أستدعي دوغلاس، وعندما تتحدثان معاً، سأقبل اعتذارك لأنك شككت في حكمي على هذا الأمر، ثم تتابع الاحتفال بالزفاف».

- لا!

خرجت هذه الكلمة من فمها قبل أن تتمكن من إخفاء لهجة الذعر في صوتها. وعندما رأت تقطيب أبيها، قالت بهدوء: «لا، أرجوك. لا تحضره إلى هنا».

- هل أنت خائفة من مواجهته، يا كاثرين؟

- نعم، أنا. . . طبعاً لا.

وأخذت تفكر في عذر. . . أي عذر: «أنا لا أريده أن يرى ثوبي قبل أن أدخل الكنيسة».

عجبت لمدى غبائها. فهي، من ناحية، تقول إنها لا تريد متابعة الزواج، ومن ناحية أخرى تقول إنه لا يجوز أن يرى العريس العروس قبل الاحتفال. فيا لهذا التناقض!

من الواضح أن أباها لم تفته حماقة قولها هذا، فلم يرد عليها بل هز رأسه وخرج من الغرفة.

أحسنت كاثرين! لَمَ لا تقدمين في المرة القادمة، على طعن نفسك؟

حدثت نفسها بهذا بينما الوقت يجري، سينزل أبوها السلم بخطواته الهادئة المعتادة، ثم يجيل نظراته بين الجموع ليرى صهره ويسير معه بشكل عفوي كيلا يثير اهتمام الموجودين، ويصعد معه السلم. لم يعد لديها سوى عشرين دقيقة، تقريباً، قبل أن تراهما يقفان عند بابها.

بإمكانها أن تسمع سلفاً صوت دوغلاس الرقيق والنبيل وهو ينكر كل

ذنب أو إثم، مبدياً الصدمة والدهشة من هذا الإتهام الموجّه إليه. ما الذي ستقوله لوالدها عندها؟ أنها اختارت أن تصدق ما سمعته من مجهول على أن تصدق أقوال الرجل الذي من المفترض أن تأتمنه على حياتها؟

لا يمكنها ذلك. لا يمكنها أن تواجه الرجلين معاً، مما ترك لها خياراً واحداً.

فتحت خزانتها وأخرجت بنطلون جينز وحذاء خفيفاً وأول بلوزة وقعت تحت يدها ثم توجهت إلى الحمام. مدت يديها داخل ثوب العرس من الخلف وشدت بعنف فتطايرت أزرار الثوب في كل اتجاه.

خلعت الثوب ووضعته في المغطس لتتمكن من ارتداء البنطلون والبلوزة والحذاء ثم خلعت النقاب ووضعته على أعلى ستار المغطس. عندئذ، تذكرت أنها لا تملك نقوداً. وهكذا، وهي تصغي بحذر إلى الضجة القادمة من القاعة السفلى، سارت على أطراف أصابعها إلى غرفتها حيث الثوب الذي سترتديه في رحلة شهر العسل موضوع على سريرها. وضعت فوقه خاتم الخطبة، ثم تناولت حقيبة يدها الملقاة بجانبه. كان هذا كل ما تمكنت من أخذه معها في هذا الوقت القصير.

عادت إلى الحمام مسرعة وهي تزرر بلوزتها. توقفت فقط لتقفل الباب خلفها ثم سارت منه إلى غرفة الجلوس. لم تر أحداً، فتوجهت إلى السلم الخلفي وأخذت تنظر من الزاوية إلى الأسفل حيث المطبخ. تنهدت بارتياح عندما وجدت المطبخ خالياً. لا بد أن المستخدمين قد توجهوا جميعاً إلى قاعة الرقص ليتفرجوا على الاحتفال.

هذا الاحتفال الذي لن يحدث أبداً.

وقفت كاثرين لحظة خارج الباب الخلفي. ثم توجهت لتستر نفسها خلف أقرب شجرة كبيرة وراحت تجتاز الحديقة وهي تتنقل مختبئة وراء جذوع الشجر. كانت خطتها بسيطة جداً ويمكن اختصارها بكلمة واحدة (الهرب)... لم تهتم ابداً بالطريقة التي تهرب بها ولا بوجهتها.

عندما ابتعدت عن البيت، تباطأت خفقات قلبها قليلاً وتحول انتباهها عندما رأت أول سياج خلفها، فراحت تفكر بطريقة تتيح لها مغادرة المزرعة. صحيح أنه لم يكن يحيط بمنزل «جوك كامبل» الكبير خندق كباقي القصور، إلا أن أسواره العالية وبوابته الحديدية كانت تمنحه الحصانة نفسها.

لم يكن الخروج من هذا القصر أسهل بكثير من الدخول اليه، خصوصاً في هذا اليوم الذي تزداد فيه يقظة الحراس وذلك لحماية هدايا العرس الموضوعة في الأبنية الملحقة بالمنزل، ولحماية خمسمئة ضيف يضعون أثمن مجوهراتهم.

أخذت تقلّب الأمر في ذهنها، محاولة أن تفكر في نقطة الضعف في تحصينات أبيها، فخرجت مسرعة من وراء سياج يؤدي إلى طريق ضيق بجانب كوخ البستاني وإذا بها تتعثر بساقين خارجتين من تحت سيارة قديمة فخافت وكادت تقع. ارتفعت زمجرة من أسفل السيارة وانزلق رجل ممدد على لوح من تحت السيارة.

جالت نظرات كاثرين تتأمل حذاء الرجل الموحل وسرواله الجينز الرث، وقميصه المقفل الملطخ بالشحم. ثم ركزت نظراتها على كتفين عريضتين، ووجه خشن أسمر، وشعر أسود أشعث، وعينين بنيتين تنفثان غضباً. قال متذمراً: «ألا يمكنك أن تنتبهي لخطواتك؟»

ـ آسفة، كنت أفكر.

ـ أنت من الناس الذين يعجزون عن السير والتفكير في آنٍ معاً.

جلس، ونظر إليها بحدة قائلاً: «من المفترض أن تكوني في حفل زفافك الآن».

ـ لا بد أنك تخلط بيني وبين امرأة أخرى.

ـ أحقاً؟ وما تلك الزهرة البرتقالية الملتصقة بشعرك إذن؟

مدت يدها تزيل الأزهار التي ما زالت ملتصقة بشعرها، ثم راحت

تفتش عن الدبابيس وتخرجها، محررة شعرها الذي اجتهد انطوان في تصفيفه. قال الرجل متأملاً: «أنت كاثي ماي كامبل بلحمها ودمها».

ارتعدت كاثرين خوفاً: «لم يدعني أحد باسمي بهذا الشكل منذ كنت في السادسة من عمري. اسمي الآنسة كامبل فقط. أو، إذا كنت تصر، فمن الأفضل أن تقول الآنسة كاثرين».

- أعليّ اثناء ذلك أن أحني رأسي احتراماً كأي فلاح طيب؟

نهض واقفاً ببطء وخفة كالفهد، ثم تناول خرقة من على سطح السيارة، وأخذ يمسح بها يديه.

كان أطول مما كانت تظن. ووجدت نفسها تنظر إلى الأعلى: «من أنت، على كل حال؟».

- جون كلارك. أبي هو البستاني هنا، إذا كنت لا تعلمين.

- طبعاً أعرف اسمه. وهذا يفسر كيف ميّزت الزهرة الصفراء عندما رأيت ورقة منها.

- سيفتخر والدي بي. كما أن زيارتك ستسره، لكنه ليس هنا. إنه هناك في المنزل الكبير يحضر عرسك. مما يعيدنا، بشكل ما، إلى موضوع حديثنا الأول.

لم يكن هذا الأمر من شأنه طبعاً: «ولمَ لست معه؟».

لم تقصد غاية معينة من سؤالها هذا، وإنما طرحته بداعي الفضول فحسب.

- أنا لست مدعواً. فأنا هنا اليوم للزيارة. والآن أخبريني، يا آنسة كاثرين، ما هي القصة؟

- لن أتزوج.

قال بجفاء: «هذا ما فهمته. وما الذي تريدين أن تفعليه بدلاً من ذلك؟».

- أنا. . . راحلة.

- فهمت. حسناً، إذا كنت تبحثين عن سيارتك البورش، فأظن أن الكاراج ما زال في مكانه في الناحية الأخرى من المزرعة.

عضت شفتها ونظرت إليه مفكرة. ليس أمامها سوى دقائق، هذا إذا لم يكونوا قد انتبهوا إلى غيابها، ووقوفها هنا لن يفيدها بشيء.

وقالت: «جون، أنت تعرف جيداً أنني. . .».

قاطعها وهو يقلد لهجتها: «الأفضل أن تقولي السيد كلارك. أو إذا كنت تصرين، الأفضل أن. . . حسناً، فلنلتزم بقول السيد كلارك».

قالت بحزم: «سيد كلارك، لقد نشأت هنا في المزرعة. . . أأنا على صواب؟».

أومأ إيجاباً، ورأته يبدو حذراً.

- إذن، لا بد أنك تعلم ما إذا كان هناك مخرج آخر عدا عن البوابة الحديدية.

فرفع حاجبيه: «أنت بالكاد تعرفينني، ولكنك تفترضين أنني أتسلل في الليالي متسلقاً الجدران».

- حسناً، ألم تفعل ذلك قط؟

قال بابتسامة عريضة: «طبعاً فعلت».

- كيف؟

- آه، لا. لن أخبرك.

أمسكت بكمه: «أرجوك. أنا هنا في منتهى القنوط. عليّ أن أخرج إلى ما وراء هذه الجدران الآن، حالاً. الا تساعدني».

ضاقت عيناه: «أخبريني بالضبط ما ستكون مكافأتي، ولا تنسي الضرر الذي سيلحق بي إذا أدرك والدك أنني ساعدتك على الهرب، ستحلّ الكارثة عندها، ثمّ. . . دعيني أفكر بالأمر».

نظرت إليه ثم قالت بصوت مختنق: «ما الذي تريده؟».

- ما الذي تعرضينه. . .؟

سكت ثم هز كتفيه: «آه، إنسي هذا، يا كاتي ماي، فأنت أخطر من أن يطلق سراحك في العالم».

ـ قلت لك ألاّ تدعوني. . . لا بأس، يمكنك أن تدعوني بما تريده إذا ساعدتني فقط على تسلق الأسوار.

ـ هل الخروج من خلالها يعجبك؟

فتح الباب الجانبي للكاراج، ثم توجه إلى داخله المظلم وعاد بعد لحظة وفي يده مفتاح قديم الطراز.

اندفعت تقول له شاكرة: «سأعطيك كل ما تطلبه».

ـ سأفكر في الأمر ثم أخبرك. تعالي.

اهتزت الأرض تحت خطواته الواسعة ما صعب على كاثرين أن تجاريه، فراحا يخترقان الغابة التي تشكّل جزءاً واسعاً من المزرعة. وبعد قليل سألها باستعلاء: «إلى أين تريدين الذهاب؟».

ـ أتعتقد أنني سأخبرك؟.

ـ ربما هذا يعني أنك لا تعلمين إلى أين تذهبين.

ـ لا، بل يعني أنك ستذهب وتبيعني لأبي.

ـ سأفعل هذا بكل تأكيد. سأذهب إليه مباشرة وأقول له: جوك، أيها الطفل العجوز. يمكنني أن أخبرك بمكان ابنتك لأنها أخبرتني بذلك بينما كنت أرفعها إلى قمة السور لتهرب. أنا واثق من أنه سيكافئني. ربما بعد أن يصفعني على وجهي مباشرة.

ـ وماذا بالنسبة إلى المفتاح؟ ظننت أنّ ذلك يعني وجود باب أو شيء ما.

ـ لا أظنك تعتقدين أني سأخبره بكل اسراري، أليس كذلك؟ فهو سيأمر بختم الباب بالرصاص في دقيقة، ومن يدري. . . قد أحتاج إلى الباب يوماً ما.

سألته بعذوبة مازحة: «أنت تفكر في العودة إلى السكن مع أبيك، أليس كذلك؟».

ـ لن يكون هذا أول ما أختاره. ولكن من يدري ما سيحدث. . . أنظري.

رأت كاثرين جداراً تغطيه دالية عنب خلف صف أشجار لكنها لم تر باباً ولا بوابة فسألته: «أين؟».

ـ إنه مخفي جيداً، أليس كذلك؟ كانت الدالية غصناً حين وجدت المكان، لكنني أمضيت سنتين في توجيه نموها لكي تخفي الباب دون أن تتحطم عند فتحه. فلنجرب ونرى.

وشدّ الدالية الساترة فظهر باب مقوّس من الخشب السميك.

أولج المفتاح في القفل فانفتح الباب. وتدلى في الناحية الأخرى من الجدار السميك ستار آخر من الدوالي. خرجت كاثرين منه فوجدت نفسها أمام غابات صنوبر مترامية ممتدة على مدّ البصر، مليئة بنباتات كالعوسج وغيره. نظرت بتردد: «أين أنا؟».

ـ تصلحين لأن تكوني من فتيات الكشافة. يبعد طريق المزرعة الرئيسي خمسة ياردة من هنا.

ـ أظن أن بإمكاني، متى وصلت إلى هناك، الصعود في إحدى السيارات المارة.

ـ أقترح عليك أن تستعجلي وإلا وجدت نفسك تشيرين إلى سيارة أحد ضيوف عرسك.

رفعت بصرها إليه وقالت: «ربما من الأفضل أن تأتي معي».

قال شيئاً بصوت خافت. وسُرّت نوعاً ما، لأنها لم تسمع ما قاله بوضوح.

ـ جون. . . أعني، يا سيد كلارك، لن تستطيع أبداً الحصول على مكافأتك لأنك ساعدتني إذا كنت تجهل مكاني.

امتد صمت طويل، ثم تمتم قائلاً: «من المؤكد أنني أصبحت أحب المشاكل، لا بأس! أنا جاهز للمغامرة».

ابتسمت كاثرين بانتصار: «فلنقفل البوابة إذن ونذهب».

هز رأسه: «ليس بهذه السرعة. لعلي أهوى تعذيب نفسي، لكنني لست أحمق. لقد فتشني الحراس عند دخولي المزرعة هذا الصباح فإذا لم يجدوني ستحلّ الكارثة. سيبحثون عندئذ عنا، نحن الاثنين، وليس عنك فقط».

ـ آه، لم أفكر في هذا.

ـ وأراهن أيضاً أنك لم تفكري في مئات الأشياء الأخرى. على كل حال، لا أحب أن يطلق عليّ رجال المباحث النار لظنهم أنني أخذتك رهينة.

ـ ولمَ قد يظنون ذلك؟

ـ هل رآك أحد وأنت تغادرين؟

هزت رأسها.

ـ هل أخبرت أحداً أنك ذاهبة؟

ـ ليس بالضبط.

ـ إذن، ليس بإمكانهم أن يعلموا ما إذا رحلت بملء إرادتك أو أجبرك على ذلك شخص آخر. اسمعي، ليس لدينا الوقت لنتناقش الآن. اذهبي بين الأشجار واتجهي غرباً فتصلين إلى حديقة عامة صغيرة بجانب الطريق. أما أنا فسأعود إلى البيت، لآخذ سيارتي، وأرحل كالعادة. وقد أسبقك إلى الحديقة، أما إذا وصلت قبلي، ولم أكن بعد قد أتيت فعودي واختبئي بين الأشجار إلى أن أحضر.

وأزاح دالية العنب ودخل من الجدار.

فنادته برقة: «جون. شكراً لك».

أجاب: «لا تشكريني الآن بل عندما نصل إلى مكان ما».

وفي اللحظة التالية أغلق الباب ورحل جون.

* * *

سارت كاثرين بقدر ما أمكنها من سرعة، متجهة نحو بقعة ضوء متألقة هي كل ما أمكنها رؤيته من أشعة الشمس. بدا لها أن الشمس تغيب اليوم

أسرع من قبل. لم تشأ أن تفكر في ما سيحدث إذا هبط الظلام وهي لا تزال في الغابة. أدركت تماماً أن رشاشة المخدر التي تحملها دوماً في حقيبة يدها لن تنفعها أبداً في مواجهتها مع أي من الحيوانات المفترسة في الغابة.

وما لبثت أشجار الغابة أن بدأت تقلّ وتتفرق حتى خرجت من الظلال لتجد نفسها أمام حافة حديقة عامة صغيرة جداً لا تحتوي إلا على منضدة للأكل وصندوق قمامة. لم يكن الوقت متأخراً كما خشيت. الآن، وبعد أن خرجت من الغابة، رأت الشمس تتجه نحو الغروب وراء الأفق.

رأت في الزقاق المقابل السيارة القديمة التي كان جون يقوم بإصلاحها في الطريق المؤدية إلى بيت أبيه. وكان جون مائلاً على منضدة الأكل في الحديقة وقد نشر أمامه خريطة. لاحظت كاثرين أنه بدّل قميصه الملوث بالشحم وارتدى كنزة بلون عينيه.

كادت كاثرين تقطع الخطوات الأخيرة ركضاً: «أنت رائع! كيف عرفت أنني سأصل إلى هذا المكان بالضبط؟».

رفع بصره إليها: «أجدت التخمين ليس إلا. كنت أتساءل عما إذا غيرت رأيك وقررت العودة إلى البيت ماشية بمحاذاة السور الذي يمتدّ ليصل إلى البوابة الأمامية».

هزت رأسها بحزم: «وأتركك تنتظرني هنا، متسائلاً عما قد حدث لي؟».

قال متأملاً: «لأصبح ذلك أحد أحلام اليقظة السارة على كل حال. هيا بنا نذهب. أتريدين شطيرة؟».

ـ لا، شكراً. . . ولكن إذا كان لديك ماء فلن أرفضه.

ـ إنه في السيارة.

اتجه إلى السيارة حيث ناولها زجاجة من الماء شربت منها حتى ارتوت.

أدار المحرك، لكنه لم يتحرك بالسيارة فسألته: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

- حسناً، هذا يعتمد على ما تريدين فعله. ولكن، بما أن الناحية الشمالية توصلنا فقط إلى حدود كندا...

أشرق وجهها: «أحمل معي جواز سفري».

فحملق فيها: «تركت بيتك بالبنطلون والقميص فقط إلاّ أنك أحضرت معك جواز السفر؟».

- حسناً، لم أتعمد ذلك، أعني لم أكن أخطط لمغادرة البلاد. لكن كان من المقرر أن يأخذني إلى برمودا لقضاء شهر العسل، ولهذا السبب، كان جواز سفري في حقيبة يدي.

لوّحت بالحقيبة وهي تتساءل عن المبلغ الذي كان ينوي دوغلاس دفعه للسفر برمودا، أم أنه كان يتوقع منها أن تدفع؟

- مع ذلك، أرى أن نذهب جنوباً إذ أن المسافة إلى توين سيتيز تستغرق ثلاث ساعات، وبهذا يكون لديك كثير من الوقت تخبرينني فيه عما تخططين لفعله.

فكرت في أنها ستفعل ما طلبه منها حالما تكوّن فكرة واضحة عما تنوي فعله.

- ثلاث ساعات؟ ذهابي إلى سيتيز لم يكن يستغرق ذلك الوقت أبداً.

- هذا لأنك كنت تسلكين الطريق الرئيسي، وهو الطريق الذي سيبحثون عنا فيه.

- آه، لم أفكر في ذلك.

رمقها بنظرة جانبية: «من الواضح أن هناك أموراً كثيرة لم تفكري فيها، يا كاتي ماي».

- أنا محظوظة حقاً لحضورك معي، فهم سيبحثون عن امرأة بمفردها لا بصحبة رجل. هذا رائع.

- رائع؟ هذه وجهة نظرك لكنها ليست بالضرورة وجهة نظري. يمكنك أن تبدأي بإخباري عمّا دفعك لاتخاذ هذا القرار. على الأقل أرجو ألاّ

تخبريني بأنك كنت تخططين لهذا الهرب منذ أسابيع.

ابتسمت قليلاً للهجته الجافة: «لا. فقد حدث ذلك فجأة. وذلك بعد أن اكتشفت عصر هذا اليوم أن دوغلاس لا يريد الزواج بي، بل هو بحاجة ماسة إلى أموالي».

ارتعش صوتها قليلاً فالاعتراف بمدى حماقتها لم يكن أمراً سهلاً.

- تعنين أموال أبيك؟

- لا، بل أموالي. عندما جعل أبي من سلسلة مطاعمه شركة متحدة، أخذ يبيع أسهمها إلى الناس الذين أرادوا أن يديروا «مطاعم كاتي ماي»، وسجّل ثلاثين بالمئة من الشركة باسمي.

- وكم كان عمرك حينذاك؟

- ثلاث أو أربع سنوات تقريباً.

- فكرة عظيمة. صاحبة أكبر قدر من الأسهم لا تستطيع تهجئة كلمة مطعم لا بل لا تعرف كيف تسير فيه.

تابعت حديثها متجاهلة تعليقه: «على كل حال، كان دوغلاس يرغم نفسه على الزواج بي لكي يستغل أموالي في تسديد ديونه في القمار».

ساد صمت طويل قطعه بصوت أجش: «اتخذت القرار الحكيم».

- أنا مسرورة لأنك توافق على ما فعلته.

- أعني تركك له، أما هربك... حسناً، هذا ليس عملاً ذكياً للغاية. لِمَ لم تخبري أباك بما عرفته؟ لكنت طردت ذلك الأحمق وتابعت الرقص في حفلتك!

قالت برقة: «حاولت ذلك».

- ألم يصدقك والدك؟

- كان يثق بدوغلاس كما كنت أفعل تماماً.

كان فحيح العجلات يمتزج بصوت المحرك فيحدث همهمة ذات تأثير مغناطيسي. وتبدّد توتر النهار تدريجياً ليحل مكانه استسلام وارهاق.

وقالت تحدث نفسها تقريباً: «لم أكن أظن قط أن دوغلاس يحبني، ولم أمانع لأنني أنا أيضاً لم أكن مغرمة به. لكنني ظننته يحترمني ويعزني. وإذا بي أعلم أن ذلك غير صحيح... وأن ما يريده هو المال فقط مرة أخرى...».

ـ مرة أخرى؟

ـ نعم. طوال حياتي كان الرجال يهتمون بأموالي وليس بشخصي. لكن الأمر لم يصل بأحد منهم إلى هذا الحد. فالآخرون لم يكونوا بمهارة دوغلاس في إخفاء الأمور، ولهذا لم يكن اكتشافي للحقيقة يستغرق وقتاً طويلاً.

ـ لقد حدث هذا مراراً، إذن؟

تنهدت: «يبدو أن هذه هي الحقيقة بالنسبة إلى كل من عرفته. أظن أن هذا أحد الأسباب التي جعلتني أرغب في الزواج بدوغلاس. أردت أن أنتهي من كل هذه الأمور وألاّ أضطر للهرب مجدداً من صيادي الثروات».

ـ حسناً، هذه هي فرصتك الآن للهرب منهم. وهي فرصة العمر.

التفتت إليه وقالت برقة: «نعم. معك حقّ إنها فرصة العمر».

وجذبت نفساً عميقاً: «جون كلارك، هل تتزوجني؟».

***

٢ ـ لكل شيء ثمن

اهتزت يد جون على عجلة القيادة، فانحرفت السيارة عن وجهتها. وعاد فقوّم سيرها بحزم، مذكراً نفسه بأن لا عذر يسمح له بأن يحوّل انتباهه عن الطريق ولو للحظة بغض النظر عن السؤال الذي وجهته إليه كاثرين.

قالت بهدوء: «من حسن الحظ أن تلك السيارة السريعة لم تقترب منا أكثر».

قال مدافعاً عن نفسه: «كانت تبعد عنا ربع ميل أو أكثر».

ـ لكنها كانت تقترب بسرعة. ماذا حدث؟ هل سببت لك صدمة؟

ـ يمكنك أن تقولي ذلك. ما خطبك؟ كيف تسألينني إن كنت أتزوجك؟

تململت قليلاً: «ظننت السؤال واضحاً. ما الذي لم تفهمه؟».

ـ شيء واحد لم أفهمه، كيف تراك انتقلت من فرصة العمر التي جعلتك تتخلصين من الزواج بصياد الثروات لتقدمي عرض زواج.

هزت كتفيها: «لم تكن تلك فكرة شاذة فقد تصورت أنك قد تفكر بالشيء نفسه».

ـ أنا؟ أقترح أن تذهبي إلى مكان جديد وتستعملي اسم كاثرين كامبل فقط، وبذلك تتأكدين من أنّ أيّ رجل جديد، تتعرفين إليه لا يسعى إلى ثروتك بل إليك لأنه يجهل تماماً هويتك الحقيقية ومدى ثروتك.

سألته بشيء من الكآبة: «وهل سأكون واثقة حقاً؟ كيف يمكنني التأكد من أنه لم يجر أبحاثاً سرية عني؟».

وجد جون أنها محقة. فكل من يهتم بالزواج من أصحاب المال يستطيع التكفّل بالتفاصيل. قال: «غيّري اسمك إذن. إذا عملت في أحد مطاعم كاتي ماي لفترة فستعلمين حالاً من هو الجاد ومن هو صياد الثروات».

ـ أتريدني أن اختبىء في مطاعم أبي؟

ـ إنه، حتماً، لن يبحث عنك هناك. لكنني لا أظن أن بإمكانك العيش من دون رفاهية لأكثر من يوم أو يومين. وسيكون إخفاء ثرائك أصعب إذا استعملت سيارتك البورش وارتديت ملابس غالية الثمن.

ـ أستطيع العيش دون رفاهية إضافة إلى أنني لا أملك سيارة بورش ولم اكن أملك واحدة، ولا أنوي الحصول على واحدة أبداً.

ـ لا شك إذن أنك تفضلين الجاغوار. لا تغيري الموضوع يا كاتي! ما الذي جعلك تفكرين في طرح هذا السؤال عليّ؟ أو لعلك تطلبين من كل رجل تقابلينه أن يتزوجك؟

ـ لا تكن سخيفاً. كل ما في الأمر أنني ظننتك ربما... حسناً، بإمكان كل شخص أن يستفيد من بعض المال الإضافي، أليس كذلك؟

ـ أظن ذلك... ولكن...

ـ وفكرت أن بإمكاننا عقد اتفاق بيننا. فأنت تعلم أنني مدينة لك...

فقطب جبينه: «لا تنسي أنك قلت إنني الذي سيختار المكافأة. لا يمكنك أن تكوني جادة في ذلك! أنتِ تقولين إنك ستدفعين لي المال لأتزوجك، وبذلك تتجنبين أن يلاحقك الرجال طمعاً بمالك... ما تقولينه غير مفهوم على الإطلاق».

ـ بل هو كذلك، لأننا سنعقد اتفاقاً واضحاً نظيفاً خالياً من الغش والكذب. آه. إنس هذا.

قالت ذلك وهي تنظر من النافذة. وكان يود أن ينسى، لكن السؤال

الذي طرحته عليه ما زال يتردد في رأسه. ويترافق مع جملة أخرى قالتها كاثرين بطريقتها الكئيبة تلك: هذا أحد الأسباب التي جعلتني أريد الزواج من دوغلاس، أردت أن ينتهي كل شيء وألا أكون مضطرة إلى الاحتراس من صيادي الثروات بعد الآن.

بإمكانه الآن أن يرى المشكلة، فلكاتي ماي منطقها في هذه الخطة وهو في مستوى هربها المثير. قال ببطء: «أنت تقولين إنك تفضلين الزواج بصياد ثروة صادق، عوض أن تتزوجي من شخص يحاول تغطية هدفه بالإدعاء بأنه يحبك».

ـ بهذه الطريقة أعرف الحقيقة على الأقل. وأن أعلم ذلك منذ البداية، خير لي من الشعور بالحماقة في النهاية.

دهش وهو يلمس في لهجتها الحزن بدلاً من الدفاع عن الرأي. شعر جون في تلك اللحظة برغبة في أن يمحو تعاستها هذه، لكنه ما لبث أن حدث نفسه بعنف قائلاً بأن رغبته هذه غير معقولة على الإطلاق.

ـ ما الذي ستفعلينه الآن إذن؟

ـ بما أنك خذلتني، لا أدري. ربما أبحث عن شخص آخر تعجبه هذه الاتفاقية أكثر منك.

المرأة انتحارية حقاً. أما كيف وصلت إلى هذا الحال، فهذا ما لا يفهمه. أن تعيش بمفردها، وحيدة في العالم... ستكون طعماً لسمك القرش دون شك لا بل أسوأ من ذلك إذ أنها ستجذب سمك القرش اليها.

تنفس بعمق وحاول أن يرى الأشياء من وجهة نظرها. اسمها مضرب مثل في المنطقة، وصورتها، لا بل صورة لها في طفولتها، وإن كان الشبه ما زال قوياً، هي رمز علامة تجارية. كيف يمكنها أن تثق كلياً في أن الرجل الذي يتقدم اليها يحبها لشخصها وليس لمالها؟

ـ كيف قررت الزواج من دوغلاس؟

مرّت لحظة ظن فيها أنها لن تجيب عن سؤاله، لكنها ما لبثت أن قالت:

«كانت أسرته تملك منجم حديد في «ميزابي رانج». وبدلاً من استثمار كل شيء في الحديد، اشتروا مصارف. كانت حصة دوغلاس في ثروة أسرته ستصبح أكبر بكثير من حصتي في مطاعم كاتي ماي البالغة ثلاثين في المئة».

- آه، إذن أنت التي كنت صائدة ثروات؟

- كنت أظن أن من يملك المال، لن يهتم بجمع المزيد. وتبين لي أنها لم تكن فكرة عملية، ولهذا سأجرب شيئاً آخر، فأتزوج شخصاً ما، وأفضل كثيراً أن يكون أنت، يا جون.

قال بجفاء: «لا أدري ما إذا كان هذا مديحاً. أنت لا تعرفين شيئاً عني».

نظرت إليه: «وماذا في ذلك؟ كنت أعرف الكثير الكثير عن دوغلاس... ربما كل شيء ينبغي معرفته. باستثناء ديون القمار».

قال محذراً: «أستأجر أحياناً زورقاً بخارياً في البحيرة بخمسة دولارات».

هزت كتفيها: «يا للأهمية! كما أنني أعرف أموراً هامة عنك فأنا أعرف أباك وأعرف أنك نشأت في المزرعة».

- إذا كنت تظنين أن هذا يجعلنا متماثلين، فعاودي التفكير. فهناك مسافة كبيرة بين البيت الكبير وكوخ البستاني.

- طبعاً هناك فرق. ولكن مجرد وجودك في المزرعة، يجعلك تدرك، أكثر من أي شخص آخر، كيف كانت نشأتي.

وعاد بذاكرته عبر السنين... لا يعني هذا أنه كان يراها كثيراً، وربما هذا هو ما حاولت التحدث عنه. لم تكن كاتي ماي معزولة فقط خلف الجدران والبوابات بسبب وضعها الاجتماعي بل كان يحظر أيضاً على الأولاد الآخرين القلائل الذين يعيشون في مزرعة كامبل، الاحتكاك بها. أما جون فلم يحاول الاحتكاك بها قط. لقد التقاها مرات قليلة فقط عن طريق الصدفة، إذ كان يكبرها بست سنوات ويعتبر نفسه أنضج بكثير من أن يهتم

بفتاة صغيرة ضفائرها سوداء وعيناها واسعتان قاتمتا الزرقة، تلبس دوماً ثياباً سريعة التلف وتبدو وكأنها لن تحلم أبداً بتسلق شجرة.

أخذ يفكر في مدى شعورها بالوحدة حينذاك.

- كانت نية والديك حسنة في حراستهما المشددة لك خاصة بعد أن تلقيا تهديداً بخطفك...

- أنا أعرف أنه كان عليهما حمايتي. أرأيت؟ أنت تتفهم ما كانت الأمور عليه.

واستحال الاستسلام في صوتها إلى ما يشبه الانتصار فقال: «ربما قليلاً».

- أنا أعرف أنك شهم وإلا لما ساعدتني على الخروج من المزرعة في البداية. أنت شهم جداً، وإلا لما لا تزال تساعدني حتى الآن؟

فكر هو في أن كلمة مجنون تصفه أكثر. ترك الصمت يطول، ثم قال: «أظن أن علينا البحث عن هاتف لكي تتصلي بوالدك، وتعلميه بأنك بخير».

فضحكت: «وتقول إنني لست عقلانية؟».

- لم تتركي له ورقة حتى.

- لم يكن ثمة وقت.

- سيقلق لأجلك.

- جون، المزرعة مجهزة بمعدات تمكّنه من تتبع أثري بعد مرور ربع دقيقة على اتصالي.

- لديه سبب وجيه لذلك. بإمكاني أن أتصور طريقة أتجنب بها ذلك.

- إذا استطعت أن تفعل هذا، فأنت أعظم نابغة في عصرك. فهو يملك هذا الجهاز منذ عشرين عاماً مما جعله...

وسكتت، فأكمل يقول: «جعله يخبر مكتب المباحث بمكان أولئك المبتزين الذين اتصلوا به هاتفياً يهددونه باختطاف ابنته إذا لم يدفع لهم مبلغاً

معيناً. أنا أذكر هذا وبسبب هذه الحادثة عليك ألا تدعيه يقلق عليك».

ـ لقد أصبح ذلك الجهاز أكثر دقة الآن.

ـ سأفكر في طريقة. . . طريقة أرسل له بها خبراً على الأقل. إنه لم يعد شاباً، يا كاتي. . . فلا تدعيه يعاني من خوف وتوتر غير ضروريين.

تنهدت: «ومن أنت على كل حال، طبيبه؟ لا بأس، ولكن سأحملك المسؤولية كاملة. فإذا فشلت خطتك وعثر علي، اعتبرك المسؤول».

ـ ربما سيكون مسروراً للغاية إذا سمع منك أنك عائدة إلى بيتك فوراً وبكامل ارادتك.

لم تجب على ذلك، لكنها رفعت حاجبيها. وبعد قليل، قالت: «هذه الاتفاقية التي تحدثنا عنها. . . ما رأيك إذا عرضت عليك خمسة عشر في المئة من مطاعم كاتي ماي؟».

ـ خمسة عشر بالمئة من الشركة أم خمسة عشر بالمئة من حصتك؟ هذا لا يعني أنني مهتم بالأمرين، أنت تعلمين هذا. أنا فضولي فقط.

رمقته بنظرة جانبية: «بالتأكيد. أنت فضولي فقط. كنت أعني خمسة عشر في المئة من الشركة. مما يترك لي خمسة عشر بالمئة. ما زال أبي يمتلك أربعين بالمئة من الأسهم وهذا لن يغير شيئاً، إذ أنني سأبقى مالكة معظم الأسهم».

هز جون رأسه: «عليك أن تتعلمي المفاوضة، يا كاتي. اختاري رجلك بعناية، وفاتحيه بشكل صائب، عندئذ ربما ستتفقان على خمسة أو عشرة بالمئة».

رفعت رأسها قليلاً: «أفضل أن أدفع أكثر وأنتهي بسرعة».

فكّر في أن القدر قد حكم عليها بأن تكون طعماً لأسماك القرش.

ووصل جون إلى مدينة صغيرة: «لا أدري إذا كان هناك مكتبة هنا».

ـ حسن ولو كان هناك مكتبة فلعلها مقفلة في هذا الوقت من مساء يوم السبت. ماذا تريد من المكتبة، على كل حال؟

ـ في المكتبات أجهزة كومبيوتر للعموم، يا حبيبتي، ويمكننا بواسطتها أن نرسل لأبيك بريداً الكترونياً عبر الانترنيت. لديه عنوان على الانترنيت أليس كذلك؟

ـ نعم. أحدث لعبة لديه هي جهاز صغير، يتلقى ويرسل رسائله إلى أي مكان. إنه يعشق ذلك الجهاز. ولكن ألا يمكن اقتفاء أثر رسائل الانترنيت؟

ـ ليس بهذا الجهاز.

ـ في هذه الحالة، هناك حل أسهل.

وأشارت إلى مبنى عبر الشارع الرئيسي.

ـ أنظر إلى اليافطة في الواجهة.

ـ انترنيت للعموم.

اتجه بسيارته إلى الموقف العام.

لم يكن المقهى مزدحماً كثيراً، لكنه قادها إلى حجرة جانبية بدلاً من أن يدعها تجلس أمام أحد أجهزة الكومبيوتر: «سأتناول فنجان قهوة، كيلا يلاحظوا أننا دخلنا وجلسنا رأساً وراء الكومبيوتر، فعندها قد يلحظوننا ويتذكروننا. إذا جاء أحد إلينا يسألنا عما نريده فماذا تطلبين؟».

ـ ما تطلبه أنت؟

ـ سأطلب فنجان قهوة دون سكر. فإذا كنت تفضلين شيئاً آخر. . .

هزت رأسها: «أرجو أن تنزع من رأسك فكرة أنني أحب الأشياء الغالية وغير العادية فقط».

أعلن أوامره للنادلة ثم أضاف بعفوية: «بالمناسبة بم يتميّز ذلك الكمبيوتر هناك؟ ذلك الموضوع في الغرفة الصغيرة؟».

نظرت النادلة من فوق كتفها: «إنه كمبيوتر خاص بالذين لا يستطيعون طبع رسائلهم، فهم يقفون أمامه ويتحدثون فقط».

ابتسم جون ابتسامة عريضة وقال: «هل يمكنك أن تضعيني على قائمة

الانتظار لأستعمله؟».

طرفت النادلة بعينيها ثم أجابت: «سأحرص على أن يكون دورك هو التالي».

التفت فرأى كاثرين تنظر إليه مفكرة فقال لها: «لا تتحدثي عن اتفاقيتك هنا».

ـ لم أكن أفكر في ذلك، لأن لدي شيئاً من الفطنة والحذر. كما أنني أشعر بالخزي، على عكسك تماماً وأنت تغازل النادلة بهذا الشكل...

فقال بشيء من التذمر: «لم أسيء اليها وفي تصرفي. أردت فقط أن أحصل على مرادي».

ـ ربما، لكنها ستبقى متسكعة حولنا. فإذا أردت ألاّ يلحظك أحد وألا يتذكرك، فقد أخطأت بتصرفك هذا.

قدمت النادلة القهوة وقالت: «يأتي الرجل الذي يتحدث أمام الكمبيوتر كل ليلة إلى هنا لكنني أخبرته بأنه لم يبق لديه سوى خمس دقائق».

فقال: «شكراً».

ولم تبد كاثرين أي رد فعل بل اكتفت برفع حاجبيها ورشفت قهوتها.

عندما دخلا الحجرة معاً، ناولها مكبر الصوت: «خذي تكلمي. ستسمعين صوت والدك من خلال مكبّر الصوت».

ترددت: «أواثق أنت من أنهم لن يعلموا من أين أتكلم؟».

ـ لا. هيا، أطلبي الرقم.

أدارت رقم أبيها الخاص على الشاشة وسمعت بعد لحظات صوت أبيها: «بابا؟».

ـ كاثرين! الحمد لله. أين أنت يا حبيبتي؟ هل أنت بخير؟

ـ أنا بأتم خير، يا بابا.

ـ أنت قادمة الآن إلى البيت، أليس كذلك؟ دوغلاس هنا معي، وهو متكدر جداً طبعاً. إنه مثلي لا يملك أدنى فكرة عن سبب رحيلك، لكنه

مستعد تماماً لأن يعتبر ما مضى قد مضى.

نظرت كاثرين إلى جون الذي جلس على ذراع الكرسي: «إذن ما زال يريد أن يتزوجني رغم هربي منه؟».

ـ طبعاً، يا حبيبتي.

سمعت خلف صوته صوت دوغلاس: «قل لها إننا أخطأنا نحن الاثنين. وأنا سأصفح عنها طبعاً».

فقالت بجفاء: «حسناً، لا أريد أن أصفح عنه. إسأله يا أبي عن رحلته الأخيرة إلى لاس ڤيغاس، تلك الرحلة التي كان من المفترض به خلالها أن يكون في مكان آخر. وأثناء ذلك، دقق جيداً في حالة دوغلاس المادية».

بدت الحيرة في صوت أبيها: «ما هذا يا كاثرين؟ أنا لم أسمع سوى جزء من هذا. كان صوتك يتقطع وكأن هناك تدخل في الحديث».

وتمتم جون: «أجّلي ذلك».

قال أبوها بحدة مشككاً: «هل معك أحد يا حبيبتي؟ هل يخبرك أحد بما عليك أن تقوليه؟».

ـ لا، يا بابا. اتصلت بك فقط لكي أخبرك بألا تقلق بشأني. لكنني لن أعود إلى البيت قبل فترة.

ـ كاثرين...

أقفلت الخط والتفتت إلى جون: «لقد حاولت أن أكون منطقية. هل أنت راض الآن؟».

أومأ بشرود، إذ أنه كان مستغرقاً في التفكير.

سارت أمامه إلى مائدتهما: «الآن، بعد أن طمأنت أبي، ماذا سنفعل؟».

ابتلع جرعة كبيرة من القهوة: «ماذا لديك في حقيبة يدك عدا جواز السفر؟».

ـ البطاقة المصرفية.

رأى أنها تحمل كل ما تظنه ضرورياً، لكنه ليس مفيداً تماماً: «هل تحملين نقوداً؟».

ـ ليس الكثير. لم أتعود أبداً حمل نقود معي.

افترض أنها لم تحتج إلى ذلك طوال حياتها.

ـ هذا سيء جداً، لأنني لا أحمل الكثير منه حالياً، أنا أيضاً. ربما يراقبون الآن حسابك المصرفي فإذا سحبت منه سيعرف أبوك بذلك قبل أن يجف الحبر. لديّ بطاقة أنا أيضاً، لكنها لن تنفعني كذلك.

ـ لِمَ لا؟ لا أحد يعلم أنك معي.

ـ سرعان ما سيعلمون، يا حلوتي. فهم سيستجوبون كل شخص زار المزرعة اليوم. وعندما يعلمون أنني خرجت في الوقت عينه الذي خرجت أنت فيه، وأن لا أحد رآني منذ... حسناً، لن يطول الوقت قبل أن يعرف والدك بما جرى، كما أنا بحاجة إلى مبلغ جيد من المال.

ـ لماذا؟

ـ لأننا سنبقى هاربين لفترة. يا ليت المكتبة مفتوحة!

قطبت حاجبيها قليلاً ثم قالت برقة فائقة وكأنها تداعبه: «إذا كنت تفكر بمكان تسطو عليه، أليس من الأفضل لك أن تفكر في مصرف؟».

ـ شكراً على هذه النصيحة القيمة، يا كاتي ماي. أنا لا أخطط للسرقة لكنني أريد بعض المعلومات. لأنني أجهل حالياً كم ستطول رحلتنا وفي أي اتجاه ستكون.

قالت وقد ابتدأت تغضب: «لماذا؟».

وضع فنجانه على المائدة بحزم، ونظر إليها متأملاً: «لكي نجد ولاية ليس في قانونها أي عوائق أمام زواجنا».

* * *

كادت كاثرين تختنق بجرعة القهوة: «أتعني... أنك...؟».

ـ نعم، سأتزوجك، أم أنك تراجعت عن الاتفاقية؟

أتراني كذلك؟ توقعت أن تشعر بالارتياح لقوله هذا إلاّ أن ذعراً بالغاً أصابها، وتساءلت بقنوط عما إذا كان هذا مرادها. إنما الآن...

أقنعت نفسها بأنه تأثير المفاجأة فقط لا غير. فهذه الفكرة لا تزال جيدة كما كانت عليه دوماً. لكنها مدهوشة فقط لأنه غير رأيه، وهذا كل ما في الأمر. قال صوت خافت في أعماقها: طبعاً، خمسة عشر في المئة من سلسلة المطاعم الوطنية تستحق أن يغير المرء رأيه لأجلها.

ولكن، ليس هذا هو الموضوع. فهي تعرف الآن بالضبط لما يريد أن يتزوجها. وهذا التأكد الخالص هو سبب تقديمها العرض.

قالت بما أمكنها من حزم: «لا. لم أتراجع».

ـ إذن، من الآن فصاعداً، نحن شريكان. مناصفة في كل شيء. صح؟

ومدّ لها يده فوضعت يدها في يده، وشعرت بارتعاش.

ـ بمَ أفكر؟ لست بحاجة إلى مكتبة.

تمتم بذلك وهو يسحب يده من يدها بعد مضي لحظة واحدة على إمساكه بها. وقبل أن تتمكن من استجماع أفكارها، اجتاز الغرفة مرة أخرى واتجه إلى جهاز كمبيوتر شاغر.

رشفت قهوتها الباردة، دون أن تهتم لبرودتها. متزوجة! كادت تسمع صوت زمجرة أبيها وهو يسمع أنها وبعد ساعات من فسخها خطوبتها، أخذت تفكر جدياً في الزواج برجل آخر مختلف.

وفكرت: رجل مختلف كلياً، لن تكون هناك عهود زائفة، ولا إعلان زائف بالحب مع جون. بل وضوح وصدق وشهامة طبعاً. وربما هذه هي أهم الصفات على الإطلاق، بنظر كاثرين. قلة من الرجال يتجرأون على مواجهة غضب جوك كامبل ومساعدة ابنته.

لم يتردد جون، رغم معرفته التامة بما يستطيع أبوها أن يفعله به. وقد ساعدها جيداً حتى قبل أن تعرض عليه الاتفاقية أو فرصة العمر هذه.

عاد جون إلى المائدة وهو يطوي فوطة ورقية: «قد تكون الأمور أصعب قليلاً مما ظننت. يبدو أن أسهل الأماكن لعقد الزواج في هذه البلاد بعيد كثيراً عن ولاية مينيسوتا».

ـ حسناً، قد يكون من المستحسن وضع مسافة طويلة بيننا وبين أبي في ظل هذه الظروف.

ـ إنها بعيدة جداً. ونحن لا نملك ما يكفي من النقود لشراء تذكرتي طائرة، وإذا استعملنا بطاقاتنا المصرفية فسيعرف أبوك بذلك قبل أن نصل إلى وجهتنا بوقت طويل.

أومأت قائلة: «وقد نجده في انتظارنا في نهاية الرحلة».

ـ إذن، يجب أن نجد مكاناً نستطيع الوصول إليه بالسيارة. على كل حال، وعلى حد علمي، كل الولايات التي تحيط بنا تطلب وقت انتظار أو فحص دم وإما الاثنين معاً لتسمح لنا بالزواج.

ـ بمكنتي أن أفهم اعتراضك على وقت الانتظار، ولكن، ما اعتراضك على فحص الدم؟ هل أنت خائف من وخز الابرة أو ماذا؟

هز جون رأسه: «إنه الوقت الذي يزعجني. لأن ظهور نتيجة الفحص قد يستغرق أياماً، وربما أطول من وقت الانتظار. وكلما طال مكوثنا في مكان واحد. . .».

ـ زاد احتمال العثور علينا.

ـ طبعاً، لكنه سيعجز عن منعك من الزواج بالشخص الذي تختارينه حتى ولو وقف بجانبك يصرخ متألماً حانقاً.

تغيرت ملامحها: «هذه ليست صورة جميلة. أظن أنه من الأفضل أن أذهب إليه بعد انتهاء كل شيء».

ـ هذا ما توقعت منك أن تقوليه. لهذا أفضل ما وجدت هو ولاية نيفادا.

قالت برعب: «لاس فيغاس؟».

ـ لمَ لا؟

عضّت شفتها: «أظنه اعتراضاً أحمق. لكنه أحد أماكن دوغلاس المفضلة. أليس من الأفضل أن. . .».

ـ أن نبقى هنا؟ ما من محكمة في مينيسوتا تفتح أبوابها قبل يوم الاثنين، كما أنه علينا أن ننتظر خمسة أيام. هل أنت واثقة من أن أباك لن يسمع عن تقدم ابنته بطلب رخصة للزواج في مينيسوتا. . . خصوصاً وأنه الطلب الثاني خلال أسابيع؟

ـ أنت محق.

وتنهدت ثم أضافت: «إذ كان هذا الحل الأفضل، فلنبدأ بتنفيذه».

في السيارة، أعطاها خريطة الطرق قائلاً: «حدّدي لي موقع الطريق إلى وسكونسن».

فحملقت فيه: «وسكونسن؟ لم أكن تلميذة مجتهدة في الجغرافيا، لكنني في آخر مرة رأيت فيها وسكونسن على الخريطة وجدتها إلى الشرق، في حين أنّ نيفادا إلى الجنوب الغربي. فما الذي يجعلك تسافر إلى وسكونسن؟».

ـ لكي أنهب المصرف الذي سبق وتحدثت أنت عنه.

ودار حول المنعطف، متوجهاً إلى الطريق الرئيسي. لا بد أنه رأى التعبير الذي ارتسم على وجهها لأنه ضحك: «ليس حرفياً، يا كاتي. ولكن علينا أن نحصل على بعض النقود، ولهذا سيكون علينا أن نستعمل البطاقات المصرفية. إذا نحن استعملناها في طريقنا، نكون قد أرشدنا والدك إلى وجهتنا. ولهذا سنذهب في الاتجاه المعاكس».

فتحت الخريطة وراحت تحدّق فيها: «لا تخبرني أنك تعمل جاسوساً، صح؟».

ـ آه، لقد كشفت سرّي. والآن سيضطر المدير إلى اغتيالنا معاً.

وضعت الخريطة من يدها وقالت: «أنت تتمتع حقاً، فالإثارة تتملكك».

ـ حسناً، نعم. أظنني كذلك. هيا بنا، يا كاتي. هذه مغامرة يمكننا أن نقصها على أطفالنا.

ابتلعت ريقها. ونظر إليها: «ماذا حدث؟ أذهب تفكيري بعيداً جداً؟».

قالت تعترف: «لا أظن ذلك».

ـ حسناً، أمامك أربع وعشرون ساعة على الأقل لتغيّري رأيك قبل أن يفوت الأوان. لا بل لديك ست وثلاثون ساعة بشكل أصح.

عادت إلى الخريطة، لكنها لم تكد تراها لأنها كانت تهتز بين يديها.

وأخذت تفكر... أطفال...

لم تتحدث مع دوغلاس قط عن هذا الموضوع. ولكن، بشكل ما، كانت تعلم أنهما سوف يتحدثان عن إنجاب أولاد، بدا إنجاب الأولاد من دوغلاس عملاً هادئاً رصيناً يتعلق بعيادة طبيب وتحاليل... أما إنجاب أطفال من جون...

وهمس صوت في أعماقها، سيكون في ذلك الكثير من البهجة والمرح.

لكنها ستفكر في كل هذا في ما بعد. ومرت على الخريطة بإصبعها: «كان الأمر أسهل بكثير لو سرنا في الاتجاه الصحيح، كما تعلم».

ـ حسناً، لو علمت حين غادرنا دولوت بأننا لسنا متجهين إلى توين سيتيز...

وكان يبدو شارداً.

ـ لا بأس، أمامنا مكان يمكننا أن نتجه منه إلى الطريق الرئيسي...

لكن جون لم يكن يصغي إليها. كانت عيناه مركزتين على المرآة التي تعكس المنظر الخلفي. ثم قال بصوت خافت: «تباً لذلك! لم يخطر ببالي أن بإمكان جوك أن يتحرك بهذه السرعة لكنني غير مسرع، ولهذا...».

سيارة شرطة! راحت تنظر غير مصدقة، ثم انطلق البوق، وأومض الشرطي بالأنوار الأمامية، مشيراً إليهما بالتوقف إلى جانب الطريق.

***

٣ ـ شهر عسل معكوس

أخرج جون محفظته من جيبه وأحضر رخصة سوقه: «لا تقولي شيئاً يا كاتي، وابقي مشيحة برأسك. . . ولكن ليس كلياً كيلا تثيري الشكوك».

أدار جون رأسه نحو النافذة بينما كان ضابط الشرطة يقترب قائلاً ببشاشة: «مساء الخير يا سيدي. أرني رخصة سوقك وأوراق تسجيل السيارة من فضلك».

وتناول منه المستندات، ثم أخذ ينقل نظراته بين جون وصورته التي على رخصة القيادة: «شكراً لك يا سيدي، أنا ألاحقك منذ فترة. لا أظنك منتبهاً إلى أن مصباحك الخلفي يعمل بشكل متقطع».

المصباح الخلفي؟ هل كل هذا من أجل المصباح الخلفي فقط؟ وحاولت أن تكبح شهقة ارتياح.

قال جون: «حتماً لم أكن منتبهاً يا حضرة الضابط».

ـ عليّ أن أسجل لك مخالفة لقيادتك السيارة مع وجود عيب في أحد أجهزتها. سأعود بالأوراق اللازمة لكي توقعها.

قالت كاثرين لجون والضابط يبتعد نحو سيارته: «حظنا حسن».

ـ لا تتفاءلي كثيراً.

ـ لكنه أوقفنا بسبب الضوء، فهو لم يكن يراقبنا تحديداً.

ـ لا تراهني على ذلك. ربما اختلق مسألة الضوء ليجد عذراً يفحص فيه أوراقنا.

ـ وكيف يختلق مثل هذه القضية؟

ـ مسألة المصباح المتقطع هي التي أثارت شكوكي. لأن التأكد من هذا ليس بالأمر السهل، إذ أن المصباح قد يعمل الآن بشكل طبيعي. لكنني لا أستطيع أن أنفي ما يقوله حول تقطع المصباح منذ عشر دقائق وعلى مسافة أميال.

عاد الضابط بدفتر: «أرجو منك أن توقع هنا، يا سيدي».

ثم قال وهو يقطع الورقة العليا ويناوله إياها: «تعلم طبعاً أن القانون ينص على توقف السيارة عن السير حتى إصلاح العطل».

بدا جون أهدأ من كاثرين: «أظن أن علينا إذاً استدعاء قاطرة سيارات إلى هنا لنقل هذه السيارة. وبما أننا على الطريق الرئيسي. . .».

ـ فهذا يعني أنك محظوظ يا سيدي. لأن وصول القاطرة يستغرق ساعة.

قالت كاثرين بصوت خافت: «هذا من حسن حظنا».

ـ إلاّ أن القانون يجيز لي القليل من حرية التصرف. ما دمتما على بعد ميلين فقط من محطة القاطرات، فسأسمح لك بالسير هذه المسافة.

فقالت كاثرين: «هذا من حسن حظنا».

ـ إذا توجهتما رأساً نحو أول إشارة فستجدان موقف قاطرات السيارات على يساركما عند نقطة الالتقاء مع الطريق الرئيسي. سأتبعك بسيارة الشرطة كيلا تقلق من حركة السير خلفك.

قال جون بصوت أجوف: «هذا لطف بالغ منك يا حضرة الضابط».

انتظر جون حتى صعد الضابط إلى سيارته، ثم انطلق بحذر وسيارة الشرطة خلفه ومصباح الطوارىء ما زال مضاءاً.

قالت كاثرين: «إن حراسة الشرطة لنا في المدينة، هو ما نحتاجه تماماً. والآن أتصدق أن مصباح السيارة الخلفي لا يعمل جيداً؟».

ـ رأيي لا يهم كثيراً لأن الورقة تفيد بأن على ميكانيكي فحص شبكة

الأسلاك الكهربائية قبل أن نتوجه إلى أي مكان مما يعني أننا سنبقى هنا حتى الصباح على الأقل. ادعي الله فقط أن تكون وحدنا من ينتظر فتح الكاراج غداً صباحاً.

تأوهت كاثرين، ثم أشرق وجهها: «تلك هي إشارة السير ولا بد أن يكون هذا...».

ورأت مجمّع أبنية مضاء بوهج مصابيح الشارع القوية: «موقف قاطرات السيارات. ولكن أين المدينة؟».

ـ ربما على بعد عدة أميال. غالباً ما تكون مواقف القاطرات خارج المدن.

ـ شكراً جزيلاً لدرس علم الاقتصاد هذا، يا كلارك. لا أرى جيداً... اكتب على هذه اللافتة أن هذا المكان هو «وست بودنك؟».

ـ هذا لا يدهشني. هذا مجمع جميل كبير في الواقع. مطعم ومحطة سيارات ونزل لقضاء الليل...

هتفت بذعر: «جون، المطعم هو من سلسلة مطاعمنا كاتي ماي».

ـ يا حلوتي، تجدين بين كل ثلاثة مطاعم واحداً من سلسلة مطاعمكم في كل انحاء البلاد. كان لا بد أن نصادف واحداً منها عاجلاً أم آجلاً.

أوقف السيارة ثم خرج منها.

مرّ ضابط الشرطة بالسيارة بجانبه، وحياه ببشاشة ثم مضى في سبيله.

خرجت كاثرين أيضاً من السيارة ووقفت مع جون خلف السيارة: «المكان مظلم هنا في الخلف».

ـ لقد لاحظت هذا.

أدار الضوء الخلفي فأخذ المصباحان يضيئان وينطفآن بالتتابع. هز رأسه: «إنه محق، هناك عطل في مكان ما. تباً لذلك! كنت واثقاً من أن الضوء في أحسن حال».

ـ ألهذا السبب كنت مستلقياً تحت السيارة عصر هذا اليوم؟ لأن المصباح

في أحسن حال؟

ـ كنت أغيّر الزيت.

توقفت كاثرين عن متابعة الجدل، وعضت على لسانها، ثم قالت: «ماذا سنفعل الآن؟».

ـ نجمع ما لدينا من مال، ثم ندخل المطعم ونطلب وجبة طعام، آملين أن نتمكن من دفع أجرة المنامة في النزل، ثم نفكر كيف يمكننا أن ندفع للميكانيكي.

أطفأ المحرك ثم أقفل السيارة: «كان يمكن للأمور أن تسوء أكثر».

ـ هذا مؤكد. كان يمكنك أن تكون الآن في السجن، وأنا أبحث عن محامٍ ليخرجك بكفالة.

ـ يا لفتاتي الطيبة التي تقوم دائماً بواجبها! أما إذا لم تعثري على محام، فيمكنك دوماً استعمال مبرد أظافرك لتحطيم باب السجن واطلاق سراحي.

***

كانا يملكان ما يكفي من النقود ليدفعا ثمن الوجبة. وعرفا بعد أن اتصلا بالنزل أن نقودهما لا تكفي لتسديد أجرة الغرفة. قالت كاثرين بشجاعة وهي تضع صحنها جانباً: «سننام في السيارة إذن».

أعاد جون ملء فنجان القهوة: «هل جربت هذا من قبل؟ فالجلوس في السيارة أمر سهل أما قضاء الليل بطوله فأمر عسير».

ـ لا.

ـ صدقيني ستنامين في طريقنا إلى نيفادا، فأنت غير مضطرة إلى الاستيقاظ باكراً. لقد حجزت لك الغرفة.

ـ وإذا لم نستطع دفع أجرتها؟

ـ وفق ظروفنا الحالية، نحن عاجزان عن تسديد أجرة تصليح السيارة، أيضاً. سنضطر لأن نهاجم الصراف الآلي، ونسحب المال من حسابنا المصرفي.

- لكن ذلك سيترك آثارنا.

- كنت أفضل الانتظار حتى نخرج من مينيسوتا ولكن لا خيار آخر أمامنا. وبما أن اسمي أصبح مدرجاً في السجلات الرسمية فسأستعمل بطاقتي المصرفية الليلة وأترك بطاقتك حتى نصل إلى وسكونسن.

- بإمكاننا بعد ما حدث ألا نذهب إلى وسكونسن.

هز رأسه: «أصبح الآن، وبسبب تأخرنا هذا، تضليل أبيك، أمراً مهماً للغاية. لكن النقود ليست مشكلتنا الوحيدة فهناك تلك المخالفة أيضاً».

- أما زلت تظن أن ذلك الشرطي المسكين قد اضطهدك؟ كان يؤدي واجبه ليس إلاّ، يا جون.

- لقد سجلت هذه المخالفة الآن في جهاز الكمبيوتر. فإذا طلب أبوك تتبع رخصة سوقي، فستبرز تفاصيل تلك المخالفة... ويعلم عندها بمكاني.

- ولِمَ قد يفعل هذا؟ فهو لا يملك إثباتاً على أنني برفقتك. لقد قلت بنفسك حين أوقفنا الشرطة، بأنك لا تعتقد أن أبي قد عرف أننا معاً.

- هذا غير مهم الآن. فلنفترض أن جوك لا يشك بي شخصياً إلا أنه سيطلب من رجاله التحقيق مع كل شخص تواجد اليوم في المزرعة. وبما أنهم لن يجدوني، فمن الطبيعي جداً أن يطلبوا من الشرطة البحث عن سيارتي. أما إذا حدث ذلك قبل أن نصلح مصابيح السيارة الخلفية...

أجفلت كاثرين: «عندئذ سأرحب بأبي عندما ينزل بالهليكوبتر في الموقف العام».

- وعندما يجدك هنا، سيحتفل بانجاز آخر من انجازات حظه السعيد. نحن نواجه أيضاً مشكلة أكبر إذ قد يصعب اصلاح شبكة الأسلاك الكهربائية في السيارة بسرعة بغض النظر عن مهارة الميكانيكي. وإذا عجزنا عن مغادرة المدينة قبل ظهر الغد، فسيكون علينا أن نترك السيارة هنا.

نظرت إليه بذهول: «وماذا نفعل بدونها؟ نستقل الباص؟ آه... انتظر

وجدتها، نأخذ تاكسي! أنا واثقة من أنني رأيت سيارة أجرة متوقفة في مكان ما. يا للروعة كل شيء موجود في «وست بودنك»».

- لا تسخري، يا كاتي ماي. ففكرة الباص ليست سيئة أبداً باستثناء أنه يصل بك إلى وجهتك بعد وقت طويل جداً. سنشتري سيارة أخرى.

- بماذا؟ لا أدري كم من المال بمكنك أن تسحب ببطاقتك المصرفية. لكنني، عموماً، لا أشتري سيارات ببطاقتي...

- لم أكن أقترح أن نحصل على سيارة فخمة كسيارتك البورش بل على آلة قوية تسير على أربع عجلات. فلنذهب لسحب بعض النقود ثم نعود إلى النزل للمطالبة بغرفتنا.

غرفتنا! وبما أنهما استطاعا، بالكاد، أن ينزلا في هذا النزل، فهي لا تستطيع أن تطلب غرفة خاصة بها. على كل حال، راحت تحدث نفسها آخذة بعين الإعتبار تصميمها على الزواج حالما يتمكنان من ذلك.

استطاعت أن تبتسم، قائلة: «بالتأكيد. فأنا متعبة للغاية».

وتمكنت بصعوبة، من جر نفسها على السلم إلى الطابق الثاني حيث غرفتهما. فتح الباب، فترددت كاثرين بالدخول. قال: «أدخلي يا كاتي. أنا لن أحملك وأتخطى العتبة بك إلا بعد العرس».

مرت بجانبه ودخلت. كانت الغرفة صغيرة تحتوي على سريرين وضعا هناك بصعوبة تفصل بينهما خزانة صغيرة.

- أي سرير تريدين؟

- لا فرق.

أغلق جون الباب خلفهما: «ليس عليك أن تقلقي بالنسبة إلى المشاركة. قلت لك إن لديك أربع وعشرين ساعة تراجعين فيها عقلك قبل أن يفوت الأوان على تغيير رأيك. وأنا حريص على تنفيذ ما قلته».

شعرت كاثرين بعينيها تغرورقان بالدموع وتملكها الضيق. بعد كل ما عانته طوال النهار، تضيف إلى ذلك عينين دامعتين: «شكراً».

همست بذلك وذهبت لتتفحص الحمام لكي تبتعد قليلاً عنه قبل أن تنفجر بالبكاء. قالت من فوق كتفها: «وضعوا زجاجة شامبو ولكن ما من فرشاة أسنان ولا مناشف كبيرة للاستحمام».

ـ حسبتك قلت إنك تستطيعين العيش دون ترف.

أطلت عليه من باب الحمام: «منذ متى كانت فرشاة الأسنان ترفاً؟».

ـ ماذا كنت تتوقعين أن تجدي بالمبلغ الذي دفعناه. أتظنين أننا في فندق الريتز؟

ـ كنت أسأل فقط.

ـ سأخرج لأشتري لك فرشاة أسنان أثناء استحمامك. أتريدين شيئاً آخر؟

ـ هنالك عشرات الأشياء.

ـ ضعي بها قائمة وسنشتريها غداً.

كانت المياه ساخنة غزيرة. وجلست كاثرين فيها مدة أطول من المعتاد وهي تذرف الدموع، ثم مسحت دموعها والتفت بالمنشفة. لقد أدركت الآن وللمرة الأولى حجم الورطة التي وقعت فيها. لقد تركت منزلها، وهي ترتدي ملابساً عادية، وثياباً داخلية لا تناسب امرأة هاربة.

سمعت صرير السرير، ثم صوت جون يخاطبها من وراء باب الحمام: «أرجو ألاّ تكوني قد استعملت كل الماء الساخن. اشتريت لك قميصاً مقفلاً. أتريدينني أن أناولك إياه؟».

قالت دون تفكير بعد أن شعرت بعرفان الجميل: «أتعلم؟ أظنني أحبك».

ـ ماذا؟

توهج وجهها: «قلت لك شكراً، يا جون. هذا لطف بالغ منك».

وفتحت الباب قليلاً ومدت يدها.

كان القميص واسعاً للغاية، لونه قرمزي متألق ورسمت على صدره

صورة لمجمع أبنية وست بودنك. عندما خرجت من الحمام، نظر جون إليها من أحد السريرين حيث كان جاثماً باسطاً أمامه خريطة الطرق.

ـ علمت أنك ستقدمين عرض أزياء حقيقياً بهذا القميص، وكنت محقاً.

ـ وسيكون تذكاراً أيضاً، أضف إلى أنه طويل بما يكفي كي أرتديه غداً كثوب، لذا فلقد أحسنت بشرائه.

جلست على حافة السرير بجانبه وأخذت تنظر إلى الخريطة: «ما الذي تخطط له الآن؟».

ـ علينا أن نذهب إلى أوكلير قبل أن نستعمل بطاقتك المصرفية.

ـ حسناً، ولكن لماذا؟

ـ لأنها أول مكان نصل إليه في الطريق المباشر بين النقطة التي انطلقنا منها والنقطة التي يظن أبوك أننا ذاهبان إليها.

ـ والتي هي...؟

ـ إما ميلووكي أو شيكاغو... أظن من الحكمة أن نترك له بعض الخيارات على أمل أن تتملكه الحيرة والارتباك. بينما نمضي نحن وقتاً ممتعاً باستعمالنا بطاقتك المصرفية، ثم ندع البطاقة جانباً في أوكلير ثم ماديسن، ونتوجه رأساً إلى الجنوب الغربي آملين أن يتابع والدك البحث عنا شرقاً.

أخذت كاثرين تدرس الخريطة: «إذا اضطررنا إلى الانتظار فترة بسبب السيارة، فربما لن نصل إلى أوكلير قبل العصر».

ـ قد يكون هذا صحيحاً.

ـ حسناً، ألا يبدو هذا وقتاً طويلاً للغاية بالنسبة إلى رحلة لا تزيد عن المئة وخمسين ميلاً؟

قال شارد الذهن: «هذا أمر سهل. حالما يدرك أبوك أنك لست وحدك، فلن يجد صعوبة في تصور ما حدث».

ـ لن يجد؟

ـ لا. لأن توقفنا عدة مرات في الطريق سيجعل مخيّلته تنشط.

حبست كاثرين أنفاسها وأرغمت نفسها على عدم التوتر. وجاهدت لتقول بمرح: «في تلك الحالة، لا عجب في أنني متعبة هكذا».

رفع بصره إليها من فوق الخريطة، وابتسم فراح قلبها يخفق بعنف.

* * *

عندما حضر الميكانيكي ليفتح الكاراج في الصباح، كان جون بنتظره أمام الباب. نظر إليه الرجل بعطف ووافق على أن يفحص المصباحين الخلفيين قبل أن يقوم بأي شيء آخر. ثم صرفه وكأنه يصرف صبياً في السادسة ليلعب في الخارج لفترة ثم يعود.

توقف لشراء صحيفة الأحد وهو يفكّر بما يفعله: أيعود إلى النزل، أم يتوجه إلى المطعم؟ كان المطعم الخيار الأكثر أمناً دون شك. كانت كاثرين نائمة حين غادر الغرفة منذ نصف ساعة. التفّت كاثرين على نفسها تحت ملاءة غسلت مراراً وقد أخرجت يدها من تحتها وبدا كأنها تدعوه. بدت بصورة سيعجز حتماً عن نسيانها. وإذا كانت لا تزال في السرير عند عودته، فسيبذل جهده كيلا يداعب شعرها أو يلامس وجنتيها الناعمتين، ضارباً بالشهامة عرض الحائط. لو أدرك كم ستبدو كاتي ماي رائعة في ذلك القميص الذي ارتدته، وشعرها الأسود منتشر على الوسادة البيضاء، لفكر مرتين قبل أن يفتح فمه متعهداً بعدم الاقتراب منها قبل أن تحزم أمرها.

من المؤكد أن التوجه إلى المطعم هو الخيار الأفضل لكنه اتجه نحو الغرفة في النزل رغم ذلك.

توقف بجانب الهاتف العمومي، وبحث في جيبه عن قطع نقود. إنه بحاجة لإجراء اتصال هاتفي ولم يعد بإمكانه تأجيل ذلك أكثر.

* * *

كان قد ترك شفرة الحلاقة المستعملة بجانب المغطس، لكنه غسل كل دلائل استعمالها. فبغض النظر عن كونه رقيقاً، شهماً، ساخراً أحياناً

ومتشككاً دائماً، فهو لم يكن قذراً أبداً.

جمعت كاثرين مقتنياتهما: الشفرة، خريطة الطرق، معجون الأسنان، وقميصها المقفل، ثم وضعت الأغراض جميعها في الكيس الأحمر البلاستيكي الذي أحضره من الحانوت الصغير الليلة الماضية. اعترفت لنفسها بأن هذا أسهل وأسرع حزم للأمتعة عرفته في حياتها، مقارنة بالعذاب الذي قاسته حين فكرت بما تريد أخذه معها إلى برمودا. كانت هذه رحلة شهر عسل حقاً.

جعلتها هذه الفكرة تتوقف. إنها كذلك بالضبط. هذه الرحلة شهر عسل فوضوي حقاً لأنها تقوم بالرحلة الآن قبل الزفاف. شهر عسل معكوس... لكنه مع ذلك شهر عسل.

راحت تفكر في ذلك، متسائلة عما إذا كان جون سيضحك لهذه الفكرة أم يفاجأ بها. عندما وصلت إلى أسفل السلم، وقفت تنظر حولها، وتساءل عما إذا كان عليها أن تذهب للبحث عنه في المرآب أولاً أم في المطعم.

لم تتوقع أن تراه على الفور. في البدء، رفضت تصديق ما تراه فقد وجدت جون في مكان لم تتوقع أبداً رؤيته فيه. كان يقف عند الهاتف العمومي واضعاً السماعة بين ذقنه وكتفه وهو يدير ظهره لها.

صرفت بأسنانها وتقدمت إليه تواجهه. بدا وكأنه شعر باقترابها منه فعلق السماعة واستدار نحوها وهي لا تزال تبعد عنه بنحو مترين. ثم سألها بعفوية: «أنتناول الفطور أولاً، أم نذهب إلى الحانوت لنشتري حاجياتنا أثناء انتظارنا السيارة؟».

أكان حقاً عفوياً بقدر ما بدا عليه؟ ظنّت أن التعبير المرتسم على وجهه قد اختلف. أهو أسف؟ أم اهتمام بما قد تكون سمعته؟

قالت بحزم: «لا هذا ولا ذاك. أريد أن أعرف بمن كنت تتصل».

ـ صديق.

ـ حقاً؟ أم لعلها المرأة التي كنت على موعد معها أمس؟

قال بابتسامة جانبية: «حذار، يا كاتي، ربما يظن أحدهم أنك غيور».

أرادت كاثرين أن ترفسه. كيف يجرؤ على أن يتهمها بالغيرة؟ فهي ليست من يقوم باتصال هاتفي من دون علم شريكها. إنه يتحدث بجرأة عن المشاركة مناصفة في كل شيء، ثم يتصرف بهذا الشكل.

تابع جون يقول: «في الواقع، اسم صديقي هذا هو برايان، وهو مشرف في الشركة التي أعمل فيها. وقد تركت له خبراً بأنني لن أحضر إلى العمل غداً».

انقبضت كاثرين: «أظنني نسيت ذلك، أعني عملك».

- هذا ما لاحظته. ليس بإمكاننا جميعاً أن نأخذ إجازة من دون عذر.

أجفلت: «أنا أيضاً أعمل، كما تعلم. وقد رتبت أمري منذ شهور لأخذ إجازة هذا الأسبوع».

- لو أنك أعلمتني منذ بعض الوقت بأننا سنقوم بهذه الرحلة، لكنت خططت لها منذ مدة أطول.

عضت شفتها: «آسفة يا جون».

لمس خدها بإصبعه: «لا بأس، يا كاتي ماي».

جعلتها هذه اللمسة الخاطفة تشعر بالوحدة أكثر من أي وقت مضى.

فقالت محتجة: «لا تناديني بهذا الاسم، وخصوصاً ونحن نقف أمام المطاعم مباشرة. ما الذي ستفعله بالنسبة إلى بقية الأسبوع؟».

- أتصل بالشركة يومياً. لا تقلقي، فأنا أشك في أن يكون هاتف برايان يقتفي أثري.

- جون، ماذا لو فقدت وظيفتك بسبب هذا العمل المثير؟

قال بنعومة: «عندها سيكون عليّ أن أعتمد على وعدك بالخمسة عشر بالمئة من شركة كاتي ماي للمطاعم. أظنني أتصل بأبيك، أليس كذلك؟».

أومأت.

- لمَ قد أفعل ذلك، يا كاتي؟

- لا أدري. ربما لأنك تعبت من تحمل مسؤوليتي، ولم تشأ إخباري بذلك.

- وهكذا أتصل بأبيك، فينقض علينا مع ذلك الرجل السيء، وأبقى أنا البطل؟ سأبقي هذه الخطة في فكري فيما لو تعبت منك. والآن... تعالي.

لم تكن تنوي أن تطيعه، ولكن لا بد أنها تقدمت إلى الأمام، لأن ذراعه طوقت كتفيها فجأة وجذبها إليه. دنت منه والتصقت به تلقائياً حتى بدا كأنها فعلت ذلك آلاف المرات، ثم مالت برأسها إلى الخلف فتقابلت أعينهما. تملكها شعور غريب وكأن مغناطيس يشدها اليه فتململت، لكنه شد ذراعه حول كتفيها والتفت إليها. جاء عناقهما عفوياً في البداية لكنه ما لبث أن أصبح متملكاً واثقاً، يطالبها بالاستسلام. وشعرت كاتي برأسها يدور وعجزت عن الرؤية بوضوح.

عندما رفع جون رأسه، كانت تلهث. لكنها لم تهتم لذلك. ورغم عدم قدرتها على الكلام، مدت يدها إليه تدنيه منها مرة أخرى.

قال بصوت حازم: «الفطور، وإلا لن تعود فكرة اغوائك مزحة بعد الآن».

شعرت بوجهها يتوهج، فوضعت رأسها على كتف جون وتركته يقودها إلى المطعم. لم تنتبه أمس إلى ما يحيط بها لأنها كانت منهكة وقلقة جداً إلاّ أنها حذرت جداً من الاقتراب من صور الطفلة السوداء الشعر التي تحتل مكاناً بارزاً في الزخارف والزينة الداخلية لكل مطاعم كاتي ماي.

لن يلاحظ أحد الشبه حتماً... حتى ولو لاحظ ذلك شخص ما، فهناك مئات من النساء من جميع الأعمار يشبهن تلك الطفلة. لكن الحذر واجب على كل حال تحركت غريزتها المعتادة هذا الصباح عندما قادتهما النادلة إلى المائدة فأخذت تدقق في التفاصيل: المناديل، الأدوات الفضية، زخرفة الموائد.

عندما ابتعدت النادلة، قال جون: «دعيني أخمن. هل أنت من يحافظ

على مستوى ما تتميز به مطاعم الشركة؟».

- أهذا واضح إلى هذا الحد؟

- فقط لشخص يعرفك جيداً. أما بالنسبة لشخص عادي، فأنت إنسانة متيقظة جداً وصعبة الإرضاء إلى حد مخيف.

- قوية الملاحظة وصعبة الإرضاء هما صفتاي العمليتان باختصار.

- لا عجب في أن أعصابك ثارت لفكرة القدوم إلى هنا. إذا اعتدت الطواف على المطاعم...

- ليس غالباً، فما أنا سوى عضو صغير في مجلس الإدارة.

وأطبقت قائمة الطعام ووضعتها جانباً بشكل يجعل الكتابة إلى أسفل فلا تظهر الصورة: «سأكتفي بكعكة مع القهوة. أظنك أحضرت هذه الجريدة لتقرأها».

ناولها إياها: «لا تصعقي إذا رأيت صورتك».

- آه، لا! لم يخطر ببالي ذلك.

- اختفاء عروس، وقبل عقد الزواج بدقائق. يبدو هذا جديداً علي.

قلبت الصفحات بعناية، وهي تتناول الكعكة أثناء القراءة. وفي النهاية قالت بارتياح: «لا شيء».

نظر إليها طويلاً: «امنحي أباك وقتاً... عندما صدرت الصحيفة لم يكن قد مضى على هربك وقت طويل. عليك قص شعرك».

قالت باسمة: «أما أنت فعليك القفز إلى البركة».

- أوافقك الرأي على أن قص شعرك خسارة، لكن القص سيغيّر مظهرك كثيراً.

- آه، أهذا هو هدفك؟ ظننتك تعطي رأياً بأناقتي.

ومزقت زاوية صفحة الرياضة.

- انتظري لحظة. لم أقرأ هذه الصفحة بعد.

- طلبت مني أن أكتب قائمة بالأشياء التي نحتاج إلى شرائها.

- نعم، ولكن بإمكانك أن تكتبيها على ورقة أقل أهمية من صفحة الرياضة.

تجاهلته: «طبعاً نحن بحاجة إلى مزيد من الملابس».

- بإمكان هذا أن ينتظر حتى خروجنا من هنا، فالخيارات في المتجر الصغير هنا، محدودة. بالمناسبة، ظننت أنك سترتدين القميص المقفل الذي اشتريته لك، هذا النهار.

قالت ساخرة: «كنت أذكى من ذلك. تصورت أن أناساً كثيرين سيتهافتون عليّ للسؤال عن المحل الذي يبيعه، لأنه سيجذب الكثير من الاهتمام. ماذا ستفعل إذن بالملابس؟».

- سنبحث عن متجر للأشياء المستعملة.

- هذا حسن، فأنا لم أذهب قط إلى مكان كهذا. هل يمكنك أن تتصور ما سيقوله أبي؟ أعرف إحدى الفتيات في المكتب اشترت بذلة من هناك بنصف سعرها.

قال برقة: «كاتي، أنا لا أعني هذا النوع من متاجر الأشياء المستعملة».

- آه، نعم، أنا واثقة من أنك ستجد متجراً جيداً. لأنني بحاجة إلى محلول لتنعيم اليدين، ومحلول لإزالة طلاء الأظافر. أتصدق أنني وضعت ذلك الطلاء يوم الجمعة فتقشر؟

ألقى نظرة على القائمة: «لاعجب في أن أباك ملياردير. بهذا الثمن يجب أن تكون الفطيرة مرصعة بقطع ذهبية بدلاً من الزبيب. سنرى إن كان بإمكاننا أن نشتري براداً صغيراً نضع فيه ثلجاً لحفظ الجبن وقطع لحم وغيرها فنأخذه معنا».

- أسنأكل في السيارة ونحن نعبر المدن؟

- هذا سيوفر علينا الوقت والمال، كما نحن بحاجة إلى شريط لاصق.

- لماذا؟

- لا أدري حالياً، ولكن يمكن لصق الفجوة... كنت مرة...

ونظر إلى خارج النافذة بإمعان.

قالت بذعر: «إلام تنظر؟».

ـ أظنني وجدت سيارة مناسبة لنا.

أغمضت عينيها للحظة بارتياح: «هل هذا كل شيء؟». فالطريقة التي نظرت بها إلى الخارج جعلتني أظن أن أبي اهتدى إلينا».

ـ إنها صفقة كبيرة، باعتبار أن ما من بائعي سيارات هنا في بودنك. من الصعب حقاً إيجاد سيارة ليست فقط للبيع إنما ضمن إمكاناتنا المادية أيضاً.

ـ وما أدراك أنها ضمن إمكانياتنا؟

نظرت إلى الخارج: «أين هي؟».

مد يده وأمسك بذقنها، ثم أدار وجهها إلى أن أخذت تنظر إلى آخر موقف السيارات: «تلك السيارة التي علقت على نافذتها لوحة كتب عليها للبيع».

لم تصدق كاثرين عينيها: «لا. لن أذهب إلى نيفادا في هذه... العربة. لن أذهب إلى أي مكان بهذه العربة؟».

ـ هذا بالضبط ما عرفت أنك ستقولينه، ولهذا فهي صالحة تماماً. فلو اتصل بوالدك مئة شخص يخبرونه أنهم رأوا ابنته تجوب البلاد بعربة كهذه، لن يصدق أياً منهم.

عادت تنظر إلى خارج النافذة. كان لون تلك الشاحنة القديمة أزرق حائل، إطارها المعدني مبعوج ويتدلى من مرآتها نردان.

لا عجب في أن جون واثق بقدرتهما على تسديد ثمنها.

تنهدت وتناولت قلمها: «هذا يذكرني بأشياء أخرى سنحتاجها. أسبرين ومضادات الحموضة».

***

٤ ـ خيبة أمل

كانت رائحة الرطوبة تفوح من الشاحنة، رغم أن كاثرين ربطت معطراً للجو بجانب المكعبين الموضوعين فوق المرآة. كان مقبض الباب من الداخل مزعجاً، إذ توجّب على الراكب فتح النافذة ومدّ يده منها إلى الخارج ليفتح الباب. وشعر جون بالسرور لأن كاثرين لم تلاحظ ذلك بعد.

وطبعاً، كان خزان البنزين فارغاً تقريباً. فقال: «من البديهي أن يكون خزان البنزين فارغاً في السيارة المستعملة التي تشترينها، لكنني واثق من أنك تجهلين ذلك، فهذه معلومات مصدرها الخبرة ليس إلا، يا كاتي».

ـ المستعملة؟ ألا تعني «المستهلكة»؟ إننا محظوظان لأن عجلات هذا الشيء ما زالت تتحرك.

ووضعت البراد الصغير أمامها.

أساء جون تقدير حجم العربة فلم يتلاءم حجم البراد الذي اختاره مع فسحة الأرض أمام المقعد الأمامي. وهكذا راح يراقب خزان البنزين حيناً ويراقبها حيناً آخر وهي تجرب شتى الطرق لوضع البراد الصغير.

قالت وهي تسند قدميها أخيراً إلى الحاجز أمامها: «على الأقل تمكنت من وضع مشترياتي تحت المقعد».

ـ لا يجوز وضع مشترياتك في أي مكان.

ـ الأفضل لك ألا تلقي بها خارجاً.

ـ سأضعها في مؤخرة الشاحنة راجياً أن يأتي أحد ليسرقها.

- أنت غاضب لأنني اشتريتها بنقودك.

- كانت تلك نقودنا، نحن الاثنين، وأنا غاضب لأننا نحتاج إلى إنفاق النقود على الأشياء الضرورية وليس على الأشياء التافهة.

- قلت لك إنني سأعيد اليك نقودك عند وصولنا إلى أوكلير.

- أنت لا تفهمين قصدي يا كاتي. سنحتاج إلى كل سنت نحصل عليه من بطاقتك المصرفية، لا لننفقه على الأشياء التافهة عديمة القيمة...

قاطعته ساخطة: «إنها ليست أشياء تافهة، عديمة القيمة».

- نموذج لمدينة وست بودنك، رغم أنه ليس عملاً فنياً.

- أنا لم أقل إنه كذلك. إنه تذكار فقط. ربما لن أعود إلى هنا مرة أخرى.

- لا؟ الأفضل أن نعود ما دمت تركت سيارتي هنا. وبالمناسبة، لا أدري اين وضع الميكانيكي بطاقتي المصرفية.

- ما زلت لا أفهم لما أعطيته إياها.

- لأنه عندما ينهي إصلاح السيارة، سيرغب في أن يأخذ أجره. فلذا أخذ رقم البطاقة المصرفية، يمكنه أن يأخذ منها المبلغ حالما ينتهي.

- هذا واضح، ولكن، حينذاك، قد تكون بطاقتك غير صالحة بأمر من أبي.

- هنا يكمن جمال هذا الأمر. عندما سيسحب الميكانيكي النقود، سيبدو وكأنني ما زلت هنا. وفي الوقت عينه تسحبين أنت النقود في وسكونسن، فيخال لوالدك أنك متجهة إلى الشرق. فلو كان والدك قد استنتج أننا معاً، ستتكفل هذه الوقائع بإرباكه وتشويشه.

تمتمت قائلة: «وفي تشويشي أيضاً».

ظهر الميكانيكي من عند زاوية محطة البنزين، وناول جون البطاقة. ثبت نظره على كاترين وهو يقول بنعومة: «لو كنت وحيداً في بلد مثل وست بودنك مع امرأة مثلها، فآخر ما قد أفكر فيه هو إصلاح ضوء سيارتي

الخلفي. لديك هنا العذر المناسب للانعزال في هذه البلدة مع فتاة جميلة، فما بالك إذاً لا تنتهز الفرصة، يا رجل أأنت مجنون؟».

قال جون وكأنه يخبره بسر: «نحن نواجه مشكلة صغيرة مع والدها».

أومأ الميكانيكي بفطنة: «وأنتما تحاولان ترتيب الزواج سراً. حسناً، إذا سألني أحد عنكما، فسأقول له إنني لم أر شيئاً».

- شكراً. وأرجوك أن تعتني بسيارتي، من فضلك. سأعود لأخذها حالما أتمكن من ذلك.

- عندما تهدأ الأمور، أليس كذلك؟ سأعتني بها شخصياً. حالما ينتهي إصلاحها، سأوقفها بعيداً في آخر الكاراج حيث لا يراها أحد.

دفع جون ثمن البنزين، ثم جلس خلف المقود: «أظننا جاهزين للسير، يا كاترين».

تمتمت: «تكلم عن نفسك، يا جون، لأنني إذا حاولت أن أفهمك فلن أنتهي قبل سنة. ما الذي كنتما تتحدثان عنه، أنت والميكانيكي؟».

- عنك أنت. يظنني معتوهاً إذ أغادر وست بودنك بينما يمكنني أن أبقى ملتصقاً بك في غرفة في النزل.

قالت باستخفاف: «أأنت واثق من أنه لم يعطك محاضرة عن مدى حماقتك بشراء هذه الشاحنة؟».

- كلا طبعاً، فالمحرك عظيم. وستأخذنا الشاحنة إلى نيفادا وتعود بنا.

- ليس علينا أن نعود بالشاحنة فما إن نتزوج حتى يصبح عثور أبي علينا أمراً غير مهم. أليس كذلك؟ كل ما يمكنه فعله عندها هو أن يغضب جداً ويبدأ بالصراخ. سأتمكن بعد زواجنا من استعمال بطاقتي المصرفية حيثما أريد. وسأركب الطائرة درجة أولى، وتستطيع عندها الاختيار بين العودة معي أو قيادة تلك المهترئة في طريق العودة.

- انتظري يا كاتي وسترين. فقد تولعين بهذه المهترئة قبل أن نصل إلى نيفادا.

ولم تعبأ بأن تجيب. بل تنهدت فقط باستسلام ثم أخذت تشدّ الحزام حولها.

***

بدأت السماء تظلم حالما تجاوز مدينة توين سيتيز، لكن محرك الشاحنة كان يصدر صوتاً قوياً بحيث لم تدرك كاثرين أنها تسمع الرعد أيضاً إلا بعد فترة. عندما وصلا إلى حدود وسكونسن، بدأ المطر يهطل بغزارة، فلم يعد بإمكانهما إن يريا أحياناً أنوار العربة. كانت حركة السير بطيئة ونادراً ما تمكنت المساحات من مواصلة مسح الزجاج. أما عندما اكتسحت العاصفة الطريق، فقد اندفع المطر البارد من خلال فجوة في أعلى الباب بجانب كاثرين غاسلاً وجهها وعنقها.

صرخت، فسحب جون الكابح بعنف: «ما الذي...».

ـ تبللت بالماء.

ـ أهذا كل شيء؟ ظننت أننا سنصطدم بشيء ما.

ـ عجباً! فوط ورقية... لم أفكر في شراء علبة فوط ورقية؟

ـ لأنك كنت منشغلة جداً باختيار أعجوبتك الهندسية.

ـ دع التذكار الذي اشتريته جانباً. انت أيضاً لم تفكر في شراء فوط ورقية. لا أظن بإمكاننا أن نستعمل الشريط الذي اشتريته في سد فجوة الباب.

ـ إنه لا يلتصق جيداً على المعدن المبلل.

مسحت وجهها بالمنديل الورقي الذي سرعان ما تحلل بين أصابعها: «ليس مبللاً فقط بل بارداً أيضاً».

ـ هكذا يكون المطر عادة، هنا. تقدمي إلى وسط المقعد. ستكونين مرتاحة أكثر إذ يمكنك مد ساقيك.

ـ مرتاحة أكثر من ماذا؟ إذا كان الخيار هو بين هذه الشاحنة والكرسي الهزاز في غرفة نومي...

لم ينظر جون إليها: «لم نعد بعيدين عن أوكلير الآن. كل ما عليك أن تقومي به هو أن تتصلي بأبيك فيرسل إليك رجاله لإنقاذك».

ـ أنت تعرف يا جون أن هذا ليس ما قصدته.

ـ أحقاً؟ بدا لي وكأنك غيرت رأيك بالنسبة لهذا المشروع.

ـ وما الذي يجعلني أغير رأيي؟ رباه! لو استمريت بالقيادة بهذه السرعة فلن نصل إلى نيفادا قبل عيد الميلاد.

انزلقت إلى المقعد الأوسط ووضعت حزام الأمان. كان الحزام قصيراً وقفله بجانب فخذ جون. بدا لها أنها لن تخاف من البرد بعد الآن لأنها التصقت به كثيراً فبات يسمع خفقات قلبها.

قال جون متأملاً: «السفر ببطء ليس فكرة سيئة، لأن والدك لن يبحث عنك قريباً من بلدك».

ونظر إليها وقال بلطف: «هل أنت واثقة من أنك لا تشعرين بالندم، يا كاثي ماي؟».

ـ لمَ؟ أتشعر أنت بالندم؟

ـ أبداً. عندما أصمم على عمل ما أنفذه. لكنني ظننتك بدأت تفتقدين... ما اسمه؟

ـ دوغلاس؟ لا.

ـ لا ينبغي أن يشعرك شوقك إليه بالخزي. فقد كنت مصممة على الزواج منه إلى أن اكتشفت سره الصغير القذر. لا يمكنك أن تمحي مشاعرك نحوه بسرعة.

دهشت كاثرين لأنها لم تفكر في ذلك قط وراحت تتذكر إذا ما شعرت وهي في وسط محنتها بأي شعور بالأسف أو بالندم. شعرت بشيء من الحزن لأنها أخجلت أباها أمام ضيوفه، ولكن لم يخالجها أي شعور بالندم نحو خطيبها. كانت غاضبة وساخطة طبعاً بسبب الطريقة التي عاملها بها ولكنها لم تأسف أبداً على خسارتها له.

فكرت في أنها سطحية جداً فهي ليست أفضل من دوغلاس بكثير. لقد قررت الزواج عاقدة صفقة متهورة باردة. . . ليس من الانصاف أن تتزوج رجلاً يحبها، في حال وجد، إذا لم تكن تبادله حبه. وفكرت بأنها محظوظة لأنها صادفت جون أثناء هربها.

فقالت: «أنا مجرد فتاة خائفة جبانة فلا تعرني اهتماماً».

- هذا أمر يعجز الرجل عن القيام به، يا كاتي.

أجفلت لهذه النبرة الكئيبة العابسة في صوته، فالتفتت تحدق إليه. عجزت عن قراءة التعبير الذي ارتسم على وجهه لأنه كان يركز على الطريق.

نظر إليها وضحك بشيء من الأسف: «أظنني أيضاً جباناً خائفاً. سأتجاهل خوفك إذا تجاهلت خوفي».

- اتفقنا.

مد يده، وأمسك بيدها ثم غطاها بيده. سرت حرارته في أصابعها فاسترخت عضلات جسمها. وعندما أعاد يده، بعد دقيقتين، إلى عجلة القيادة، شعرت بأنه محرجها. بعد مرور لحظة أدركت أنها مائلة عليه وراحتها مبسوطة بطريقة لم تألفها قط مع دوغلاس. أبعدت يدها عنه وأخذت تعبث بمفاتيح الراديو.

قال بجفاء: «أتحاولين التقاط النشرة الجوية؟».

- من الحماقة أن ننزل من الشاحنة ونتعرض للبلل لكي نسحب نقوداً من الصراف الآلي إلا إذا توقف المطر بعد عشر دقائق.

- يصعب حقاً أن يتوقف المطر قريباً، فقد لاحت لنا مدينة أوكلير.

- هذا حسن. سأبدأ بالبحث عن مصرف. وهكذا فلن نبدو على عجلة من أمرنا ونحن نركض تحت المطر.

استندت إلى الخلف ونظرت إليه مفكرة: «أتوقف عقلك الصغير المشغول دوماً عن حياكة المؤامرات، يا جون؟».

- لا، ولكن عملي نادراً ما يتعلق بمثل هذه الأمور المادية.

- عليك أن تنشىء عملاً جديداً يجمع بين عمل المخبر الخاص ومخطط المشاريع. كم من الوقت سنبقى في المدينة برأيك؟

- أنت متلهفة لإنهاء الأمر، أليس كذلك؟

أومأت: «نعم، ستتحسن نفسيتي عندما نحصل على بعض النقود مرة أخرى. أنت محق. ما كان عليّ أن أنفق نقودي على تذكار سخيف».

مد يده يشعث شعرها: «لا بأس بذلك، يا كاتي ماي».

رغبت بالاقتراب منه مرة أخرى لتتشرب روحها السلوى والمواساة اللتان شعرت بهما عندما لمسته.

تابع جون: «إذا نفدت نقودنا، سأجعلك تشتغلين بمسح الأرض في البيوت إلى أن تستعيدينها بعرق جبينك».

***

نفعت بطاقة كاثرين المصرفية عندما دفعتها وهي تحبس أنفاسها، إلى داخل الصراف الآلي في مدينة أوكلير. كما نفعت أيضاً أثناء خروجهما من المتجر ومغادرتهما المدينة. قالت كاثرين وهما يخفيان كيسي البقالة خلف مقعد الشاحنة: «لا أظن أن كيسي البقالة الورقيين الأسمرين يعتبران أمتعة، خصوصاً في هذا الجو الممطر. لكنني أحببت حقاً كنزتي الجديدة وبنطلونك الجديد الأنيق».

أضافت وهي تصعد إلى السيارة: «أظننا ذاهبين الآن إلى ماديسن؟».

نقر جون بأصابعه على عجلة القيادة: «جزء من الطريق على الأقل. ربما لا ينبغي علينا البقاء في أوكلير، لكن بما أن عملية سحب النقود من الآلة جرت بسهولة وبدون تعقيدات، فقد يكون من الأفضل أن نحاول القيام بعمل أكبر هنا في ماديسن».

- مثل ماذا؟

- أن نأخذ البطاقة إلى داخل المصرف، لسحب مبلغ أكبر بكثير.

- لكن المصارف لا تفتح يوم الأحد؟

ـ ولهذا سنمضي الليلة هنا، ثم نقصد المصرف في الصباح الباكر. نظراً لاستمرار هطول المطر فأنا لا أمانع في تجنب السير في الشارع خصوصاً عندما يسود الظلام تماماً. أنظري في الخريطة أين بمكننا إيجاد نزل صغير بين هنا وماديسن. . .

قالت بكآبة: «إذا كنا سنسحب مبلغاً كبيراً، فلم لا نذهب إلى المدينة ونقيم في مكان جيد حقاً؟».

هز رأسه: «حتى ولو دفعت أجرة الغرفة نقداً، فالفنادق الكبيرة لن تقبل بدخولك دون أن تبرزي بطاقتك المصرفية. وهم سيتأكدون من أن لك رصيداً قبل تسليمك مفتاح غرفة».

ـ لكن أبي لم يحجز على بطاقتي المصرفية وإلا لما تمكنت من سحب النقود.

ـ الحجز يمنعك تماماً من استعمال بطاقتك. أراهن على أنه لن يفعل شيئاً يعيقك من عبور البلاد. لكن لعله وضع إشارة على حسابك، فإذا استعملته تتصل به شركة البطاقات المصرفية وتخبره عن مصدر سحب المال. فإذا وردته مكالمة تفيد بأنك استعملت البطاقة لدخول فندق جيد في ماديسن أو وسكونسن، فسيكون أمامه أكثر من عشر ساعات ليدركنا.

تنهدت كاثرين: «لمَ أنت منطقي ومحق دوماً؟».

وبسطت الخريطة وأخذت تدرسها على الضوء الضعيف بفعل العاصفة، ثم أشارت قائلة: «من هنا أيها السائق الجدير بالثقة».

ـ هذا يذكرني بما قلته لي أمس عن قضائك وقتاً على الطرقات الرئيسية.

ـ أتقصد بقولك هذا أن تطلب مني بشكل غير مباشر قيادة هذه الشاحنة، فسأجيبك لا وشكراً جزيلاً.

ـ لن تضطري عندها إلى الالتفاف حول نفسك وسند البراد الصغير.

ـ ولكن عندها ستقوم أنت بذلك وأنا ما زلت أرفض. شكراً لك.

ـ اتفقنا أن نشترك في كل شيء مناصفة، يا كاتي ماي.

أشرق وجهها: «أتعلم ماذا؟ سأتنازل لك عن حصتي في هذه الشاحنة إذا لم تجبرني على قيادتها».

ـ إذا قدت طوال الوقت، فسيستغرق وصولنا إلى نيفادا وقتاً أطول.

ـ أتعني أننا سنصل في عيد العشاق بدلاً من عيد الميلاد؟ يا لك من مجادل! شهر شباط في الصحراء أكثر دفئاً منه في ولاية مينيسوتا.

ـ أتعنين أنك لا تذهبين كل شتاء إلى أريزونا أو جزر الكاريبي؟

ـ ربما لعدة أسابيع. ولكن يظهر أنك لم تشتغل عند أبي وإلا لما سألت.

وتثاءبت: «وبما أنني سأعود إلى العمل يوم الاثنين القادم. . .».

قضيا ساعة أخرى على الطريق، ووقف جون أمام أول نزل مرّا به. عندما عاد من المكتب بدا عابساً ولم يكن يحمل في يده مفتاحاً: «يلجأ إليهم كل من يهرب من حالة الطقس السيئة. وما زاد الطين بلّة، هو إقامة معرض تراثي في ماديسن يدوم اسبوعاً. لكن الموظف اتصل بنزل آخر يبعد عدة أميال من هنا وحجز لنا غرفة. ويبدو أنه النزل الوحيد على مسافة خمسين ميلاً من هنا».

تمتمت: «لا بد أن الموظف امرأة لكي تزعج نفسها بهذا الشكل لأجلك».

فقال محتجاً: «لم أسبب لها أي ضرر. . .».

ـ . . . أثناء حصولك على ما تريد. أعرف، أعرف، ربما أنت محق، فهي ستحلم بابتسامتك هذه طيلة الأسابيع الثلاثة القادمة.

كاد النزل يفوتهما، لأنه بعيد عن الطريق الرئيسي. وحال وصولهما إلى الغرفة، أدركت كاثرين سبب نبرة التحذير التي برزت في صوت جون. كانت الغرفة أصغر من تلك التي أقاما فيها في وست يودنك، أما الستائر فكانت معلقة بشكل منحرف، ولم يكن هناك إلا سرير واحد فقط.

قررت ألاّ تنظر عن قرب إلى ما يحيط بها: «الغرفة الوحيدة على مسافة خمسين ميلاً كما أذكر أنك قلت؟ من الأفضل أن نبتهج رغم كل شيء».

ـ سأنام على الأرض.

نظرت إلى السجادة الحقيرة، وعبست: «لا تكن سخيفاً. سنتشارك السرير».

لمعت عيناه: «كاتي، حبيبتي...».

نظرت إليه مباشرة: «على السائق أن يرتاح. وصدقني فأنا أعني أن يرتاح حقاً».

قال يذكرها: «لقد انتهت الساعات الأربعة وعشرون التي تعهدت لك بها».

ـ ونحن أبعد بكثير عن نيفادا مما كنا عليه عندما تعهدت بذلك.

ـ إذا كنت تعنين أنك تنوين الانتظار حتى الزفاف...

ـ هذا ما أعنيه بالضبط.

وعندما أخذ يتثاءب، أضافت: «وهذه فكرة جيدة جداً أيضاً».

ـ إنها تظهر فقط كم تجهلين الرجال. ولكن ما دمت قد اتخذت قرارك، فما رأيك بتناول البيتزا؟

ـ حضرة المحاسب، أيمكننا دفع ثمنها؟

ـ يجب أن يتغذى السائق أيضاً، إضافة إلى ذلك فسنسحب المال غداً، بعد أن نسطو على المصرف.

ـ لا تتكلم وكأننا سننهب المصرف. طريقة بناء هذا النزل تتيح للنزلاء الاستماع إلى أحاديث بعضهم البعض.

قال ضاحكاً: «آه، فهمت. ليس انتظار الزفاف إذن ما يمنعك من تلبية طلبي، بل الخوف من أن يسمعنا الآخرون. حسناً، لقد ارتفعت معنوياتي الآن».

تناول الهاتف: «كيف تحبين البيتزا؟ مع الفطر؟».

ـ لا فرق ما دامت لا تحتوي على سمك الرنكة.

ضاقت عيناه: «أيعني هذا أن دوغلاس يحب الرنكة».

غضت أنفها.

هز جون رأسه: «مع ذلك كنت عازمة على الزواج بذلك الرجل. كاتي... آه، يا كاتي».

قالت بقنوط: «حسناً، لم أكن لأبني قرار حياتي على البيتزا. لو أخذني إلى مطعم للبيتزا مرة أخرى، لطلبت بيتزا خاصة بي».

ـ منذ متى تخرجين مع دوغلاس؟

ـ منذ سنتين تقريباً، لِمَ تسأل؟

ـ وطوال السنتين لم يشترِ لك سوى بيتزا واحدة؟ لا أظنه يحب الزعتر، هو أيضاً؟

ـ الطعام الأجنبي الوحيد الذي يحبه هو الطعام الفرنسي.

ـ ممم... في هذه الحالة علي أن انبهك إلى أنني أرفض أن آكل في مطعم أعجز عن لفظ اسمه، وباستثناء ذلك فأنا أتناول كل شيء».

تمتمت: «سأتذكر ذلك دوماً».

فتحت كيسهما البلاستيكي المليء بأدوات الزينة والحمام وهو يتحدث في الهاتف. استغربت وضع فرشاتي أسنان بدلاً من واحدة في كأس الماء ولكن هذا ما سيكون عليه الأمر من اليوم فصاعداً، لو استمرت في طريقها هذا... لو تزوجته فعلاً...

سبق وسألها جون إن كانت قد غيرت رأيها، فأنكرت. ولكن ربما حان الوقت لأخذ رأي ثان، وثالث أيضاً. منذ خرجت إلى شرفتها أمس وسمعت ذلك الحديث راحت تتخذ القرار تلو الآخر.

كان قرارها بالهرب جيداً دون شك. ولو أرادت برهاناً على صدق حديث الشخص الذي كان يتحدث في الشقة الأخرى، فقد وجدته حتماً في حديثها مع والدها الليلة الماضية. فقد قال لها ابوها إن دوغلاس هنا وهو يريد أن يضع الماضي وراءه. وعبست وهي تفكر في ذلك، ونادت: «جون».

أقفل الهاتف: «نعم».

اتكأت إلى الباب، وأخذت تتأمله: «إذا كنت مخطوباً لامرأة. . .».

قاطعها: «لكنني مخطوب لك. أنسيت؟».

ـ نعم. ولكن إذا كنت مخطوباً لامرأة أخرى، وهي. . .

ـ كاتي ماي، أهذا أحد تلك الأسئلة المنوّمة التي تعشقها النساء؟ لأنني أشعر بحكاك يتملكني. . .

رمقته بنظرة جعلته يجفل: «لا بأس. . . تابعي كلامك».

ـ إذا هربت خطيبتك أثناء العرس، فهل ستبقى راغباً في الزواج منها؟

ـ هل هذا سؤال فخ؟ ذلك يعتمد على سبب هربها.

ـ طبعاً، هذا هو رأيي بالضبط. كنت سترغب في الحصول على تفسير لما حصل. ولا أشك في أنك ستبقى فظاً معها إلى أن تعلم ما جرى.

قال بحذر: «نعم، ربما كنت سأفعل ذلك. والآن هل لك أن تشرحي لي سبب هذا الحديث؟».

ـ أخبرني أبي الليلة الماضية أن دوغلاس ما زال يرغب بالزواج بي.

ـ لا أدري لما أدهشك هذا.

ـ لم يدهشني بل أثبت قول ذلك الرجل.

ـ انتظري لحظة. أي رجل؟

ـ الرجل الذي سمعته يتحدث عن ديون دوغلاس في القمار. إذا كان مخطئاً ولم يكن دوغلاس غارقاً في الديون إلى أذنيه، لرغب عريسي في الحصول على تفسير مني يوضح سبب غيابي عن العرس. لكنه لم يسأل عما يعني أنه كان يعرف ذلك مسبقاً. لقد اكتفى بأن يقول: «كلانا أخطأ» وهذا اعتراف واضح منه.

ـ انتظري يا كاتي. هل هجرت الرجل لأنك سمعت شيئاً عنه؟

قالت ببطء: «نعم. لكنني كنت على صواب، فما الفرق؟».

هز جون رأسه: «هذا لا يبدو بالضبط زواجاً مثالياً، ولكن. . .».

لم تعد كاثرين تصغي اليه الآن. فقد أصبح لديها كل الاثباتات التي كانت بحاجة إليها، كان القرار السريع الذي اتخذته بالهرب عوضاً عن اتمام الزواج. . . أفضل من قرارها بالزواج من دوغلاس. ربما كان هذا القرار المفاجىء أفضل من تلك القرارات التي تأتي بعد تفكير عميق. . .

أجفلت وهي تسمع نقراً على الباب. ورأت جون يتناقش والرجل الذي أحضر البيتزا. بعد ذلك وضع جون البيتزا على الفراش، فجلست كاثرين وشرعت تأكل.

جلس جون، وقال: «عليك أن تتصلي بوالدك مرة أخرى».

ـ لأستمع منه إلى محاضرة أخرى عن ضرورة عودتي حالاً إلى المنزل حيث ينتظرني دوغلاس الوفيّ المحطم الفؤاد؟ إياك أن تفكر في هذا! تناول طعامك!

هز كتفيه وتناول شريحة: «هل ستدخلين الحمام أولاً؟».

ـ أدخل أنت. إنه دورك.

نظفت مكان البيتزا. ثم جلست بجانب النافذة تنظر الى المطر إلى أن خرج من الحمام. استحمت على مهل ثم أخذت تسرح شعرها. وعندما انتهت، كان جون مستغرقاً في النوم، تماماً كما كانت ترجو.

أكانت ترجو ذلك حقاً؟ أشعرت بخيبة أمل في أعماقها؟

انسلت تحت الغطاء بحذر، ثم حاولت أن تجد وضعاً مريحاً على السرير. استلقت على جانبها تواجهه، فوجدت أنها لا تستطيع أن تبقي عينيها مغمضتين. سمح لها الضوء الخافت المنبعث من مصابيح الشارع برؤية ملامحه وحركة تنفسه، مما أثار أعصابها. عندما انقلبت إلى جانبها الأيسر، وأدارت ظهرها له، وجدت نفسها تتمسك بحافة الفراش، كيلا تنزلق إلى وسط السرير. أترى الفراش مقعراً في الوسط حقاً، أم أنها كانت تشعر بدوار خفيف بسبب هذا الوضع. . . وعدم تأكدها منه؟

* * *

استيقظت كاثرين على يد دافئة توقظها كما كانت أمها تفعل. أخذت تتمطى باسترخاء ثم فتحت عينيها لتجد نفسها قريبة من جون وهي تنظر إليه.

مضت لحظة قبل أن تدرك ما حدث. تبادلا نظرات معبرة. وقال برقة: «مرحباً. . . كنت أفكر في الأمور. أعرف أنني وعدتك بألا أقترب منك، لكنني لم أذكر شيئاً عن عدم قدرتك على اغوائي. وقد قررت ألاّ أعترض على ذلك أبداً لا بل سأكون سعيداً بأن أساعدك في أي. . .».

وضعت كاثرين يديها على صدره، ثم دفعته مبتعدة عنه. قال متذمراً: «هذا أمر سيء. فأنت تستغلينني بينما أنا أتصرف كرجل مهذب تماماً».

ثم ابتعد عنها بتردد.

جلست كاثرين على حافة السرير، متظاهرة بأنها لا تنظر إليه وهو يسير في الغرفة ويزيح الستائر لينظر إلى الخارج. كان من السهل حقاً أن تستسلم إلى ضغط يده الدافئة. . . أن تدير وجهها إنشاً واحداً فقط لتعانقه.

وتساءلت عما منعها من هذا؟

* * *

رفع جون غطاء الشاحنة، وتمدد تحتها يفحص المحرك، عندما أحضرت كاثرين آخر حاجياتهما من النزل. رمقها بنظرة جانبية وهي تقترب، وأدرك أنها لا تبدو، هذا الصباح، متحكمة بنفسها كما تريد أن تبدو.

وقفت بجانب باب مقعدها في الشاحنة: «ما هذا؟».

ـ إنها فكرتك وهي وضع الشريط حول الباب فلا ينفذ منه المطر.

نظرت إلى السماء: «ما من غيوم».

ـ لا نعرف ما الذي سيحدث عند حلول الليل.

ـ الحقيقة هي أنك لا تريد أن تدور حول الشاحنة لكي تفتح لي الباب كلما وقفنا.

ـ يبدو أن علي استعمال شهامتي وتهذيبي في اتجاه آخر هذا النهار.

قال هذا متأملاً وعندما رأى أن وجهها أصبح وردياً ضحك. سارت حول الشاحنة ووضعت كيسها الورقي خلف المقعد.

ـ أين وضعت الشريط اللاصق؟

ـ في صندوق المعدات. لماذا؟

ـ لأنني أريد أن استعمله.

دار حول الشاحنة، فرآها تغطي بالشريط الفجوة في الباب بشكل محكم.

قالت وهي تناوله مسرورة، بكرة الشريط: «أنت محق. يمكنك أن تسدّ أية فجوة بهذا الشريط».

تأملها مسروراً: «كاتي ماي، أنت قاطعة طريق ممتازة. ذكريني بأن أحضرك معي في كل مرة أصمم فيها على أن أنهب مصرفاً».

صعدت إلى السيارة قائلة: «هيا بنا. دعنا ننتهي من هذا الأمر».

عندما وصلا إلى المدينة، كانا قد تدربا على كيفية التصرف. ومع ذلك، شعر جون بالتوتر حين وصلت كاثرين إلى نافذة أمينة الصندوق وناولتها بطاقتها المصرفية، قائلة: «أريد أن أحصل على أكبر قدر من المال تسمح به البطاقة نقداً».

انزعجت الموظفة: «أنا بحاجة إلى بطاقة هوية».

أمسكت كاثرين برخصة سوقها، ووقفت تنظر إلى شاشة الكمبيوتر. مدت الموظفة يدها لتأخذها منها وفجأة توقفت عابسة. وانتقلت عيناها إلى جون وتسمرتا عليه: «المعذرة، أعاني من مشكلة مع الكمبيوتر. سأعود حالاً مع بطاقتك المصرفية وهويتك».

لم تنتظر أمينة الصندوق الجواب، بل أسرعت مبتعدة وفي حوزتها بطاقة كاثرين المصرفية ورخصة سوقها.

* * *

٥ ـ خذني

منعت الصدمة كاثرين من الحركة. ومدّ جون يده يتظاهر بالعبث بكباسة الورق الملقاة أمام نافذة أمينة الصندوق وهو يهمس في أذنها: «سيري إلى الباب وكأنك أنهيت ما جئت تفعلينه، وتمهلي في السير. لا تدعي العجلة تبدو عليك».

أجابت بلهجة آلية: «ولكن علي أن أنتظر بطاقتي المصرفية، ورخصة القيادة. قالت إنها قادمة حالاً».

ازداد خفقان قلبها وهي ترى جون ينظر حوله متوقعاً أن ينقض عليهما الفريق الأمني في أي لحظة.

تملكها الذعر وهي ترى الإنذار بالخطر بادياً في عينيه: «كما تشاء».

كان اجتيازها صالة المصرف وكأن شيئاً لا يشغل بالها أصعب عمل قامت به على الإطلاق. لم تستطع أن تتنفس جيداً إلى أن أصبحا في الخارج قرب الشاحنة المتوقفة بعيداً عن مدخل المصرف.

دخلت الشاحنة من باب السائق ومرت تحت عجلة القيادة وصولاً إلى مقعدها في الوسط: «فهمت الآن لما أوقفت الشاحنة في هذه الزاوية البعيدة عن النظر. ولكن إذا كنت تظن حقاً أن حراس الأمن قد يلاحقوننا...».

هز جون رأسه: «لم أكن أظن ذلك. رأيت فقط أن التوقف هنا يقلل من إمكانية تعرض الشاحنة إلى اصطدام مع سيارة أخرى».

ثم انطلق بالشاحنة إلى الشارع.

نظرت كاثرين إلى الخلف. بدا لها موقف السيارات طبيعياً تماماً، ولم يكن هناك أحد ينظر باتجاههما. شعرت فجأة بالارتياح البالغ.

ـ هل كنت قلقاً من أن تصطدم سيارة بهذا الشيء؟ وكيف عساك تدرك أنها أصيبت؟

ـ أصبحت عادة عندي أن آخذ حذري حين أوقف السيارة، مهما كان نوعها.

بدا قلقاً.

نظرت إلى عداد السرعة: «أيمكننا الإسراع قليلاً، يا جون؟ أعلم أنّ لا أحد يتبعنا، حالياً، ولكن من باب الاحتياط فقط».

ـ لا، فهذا قد يجذب الانتباه إلينا.

ـ أليست الشاحنة نفسها شيئاً لا يمكن نسيانه بسهولة؟

ـ لم يرنا أحد في المصرف، لحسن الحظ. فقد ذهبت أمينة الصندوق إلى الناحية الخلفية من المصرف، لقد خرجنا من هناك قبل أن يشك بنا أحد.

تأوهت كاثرين: «وتركي لبطاقتي المصرفية ورخصة السوق؟».

ـ لا شك في أن فقدانك رخصة السوق أمر مزعج. لكن لا تقلقي بشأن البطاقة المصرفية. فهي لم تعد مهمة.

قالت بفتور: «الآن بعد أن أبلغ أبي الشرطة بأنها مسروقة».

قال مفكراً: «هذا ما تصورته في البداية أنا أيضاً. ولكن ليس من الضروري أن يكون هذا ما حرك الحذر في نفس أمينة الصندوق. لا أظن أن وضع الحساب قد تغير على الاطلاق منذ أن سحبنا المال الليلة الماضية. الأرجح أن أمينة الصندوق تصرفت بهذا الشكل إذ رأت تحذيراً ما يبرز على شاشة الكمبيوتر حين أدخلت رقم بطاقتك المصرفية».

هزت كاثرين رأسها: «كانت تتصرف وكأن تلك البطاقة جمرة كاوية».

ـ ربما لم تقع يدها قط على بطاقة مصرفية تثير الشبهات كبطاقتك.

ـ لم أتعود أن يعاملني أحد وكأنني مجرمة، يا جون، ولا أن يضعني أبي

في موقف كهذا.

- لا أعتقد أن والدك سيقطع عنك المصروف.

قالت بمرارة: «بلى. فرغم أنني لا أسحب من أمواله بل من أموالي فقد يظن أنه لو حجز على بطاقتي المصرفية سيجعلني أحضر إلى البيت زحفاً. عندها لن يتردد لحظة بالقيام بذلك».

- كان على أمينة الصندوق أن تتوجه بهدوء إلى المدير لإخباره قبل أن تتابع عملها، ثم تعود إليك وتسلمك المال.

- وفيما تتابع عملها ببطء يتمكن رؤساؤها من الاتصال بوالدي.

أومأ: «هذا أمر معقول أكثر من منعك من استعمال البطاقة إضافة إلى ذلك فوالدك ليس غبياً، صحيح أنه قد وضع إشارة على حسابك ولكنه لن يجعلهم أبداً يقبضون عليك».

- تبدو وكأنك تدافع عنه.

- لا. أنا أحاول فقط أن أضع نفسي مكانه.

- أنا واثقة من أن أبي سيعجب بهذا التعاطف.

نظر إليها ساخطاً: «أنا لا أسوّغ عمله، لكنني أحاول أن أستنتج ما ستكون خطوته التالية».

- ربما يستدعي الجيش الآن ما دام عرف مكاني.

- إنه يعرف أين كنت لا أين أنت وما دمنا نتنقل فأنت بخير.

- كما قلت إننا سنكون آمنين تماماً إذا دخلنا المصرف هذا الصباح.

لم يجب جون، وامتد بينهما الصمت. ابتدأت تندم على وضع اللوم عليه، فهو لم يرغمها على الموافقة على خطته ولذا فهي تشاركه الفشل قالت بهدوء: «آسفة. ليس ذنبك أن الخطة فشلت».

بعد دقيقتين، وقف جون في موقف عام لسوبر ماركت. وبدلاً من أن يخرج من الشاحنة. التفت إلى كاثرين، فسألته مجفلة: «لِمَ توقفنا؟».

- علينا أن نتفاهم على بعض الأمور. أنت قلقة، أليس كذلك يا كاثي

ماي؟

أومأت: «وأنت؟».

- شعرت بذلك لمدة دقيقتين أثناء وجودنا في المصرف، ولكن ليس الآن بعد أن أتيحت لي فرصة للتفكير. لم تسر الخطة بالسهولة التي رجوتها، لكن الحقيقة هي أننا أنجزنا ما أردناه بالضبط. أردنا أن نتأكد من أن والدك يعلم بوجودك في وسكونسن وبات الجزء الصعب خلفنا الآن.

قالت بهدوء: «لكنه يعلم أيضاً أنك معي، وأثبت ذلك الصور التي التقطتها لنا آلات تصوير رجال الأمن».

- نعم، كنت آمل ألا تفكري في ذلك الجزء الآن.

عضت شفتها: «مما يعني أنك أنت أيضاً أصبحت مراقباً».

- كنا نعلم أن هذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً.

- شخصان هاربان، يلاحقهما رجل بالغ القوة والنفوذ بات يعلم تماماً عما يبحث وأين.

- أبوك ليس مريضاً نفسياً، يا كاثي ماي، فلا تنسبي إليه قوة أكبر من التي يملكها وإلا فسترتكبين الأخطاء.

فقالت بكآبة: «سأحاول ولكن يا ليتنا استطعنا أن نحصل على المزيد من المال».

- صح، كان هذا سيسهل الأمور. ستتعسر الأمور لأننا سنعمل على أن يكفينا المبلغ الذي بحوزتنا حتى نصل إلى نيفادا. لدينا ما يكفي للوقود والطعام وليس للإقامة في نزل والتمتع بالرفاهية.

- إذا كان ذلك النزل الذي أقمنا فيه الليلة عنواناً للرفاهية، فسأنام في الشاحنة. ما زال ظهري يؤلمني بسبب ذلك الفراش. كيف يستطيع أحد أن يسير بعد أن نام في تلك الفجوة؟

قال متأملاً: «كان الاستيقاظ من النوم جميلاً، لفترة قصيرة على الأقل».

حاولت أن تتحكم بنفسها كيلا يحمر وجهها، وتابع: «على كل حال، لا تقلقي بشأن النقود. سنعالج الأمر. إذا أوشكت نقودنا أن تنفد، فسنبيع تذكارك الذي اشتريته من وست بودنك. وأنا واثق من أن المتنافسين لشراء كنز كهذا سيقفون في الصف».

انهمرت الدموع من عينيها: «اسكت يا جون، يكفي ما أشعر به من ندم لحماقتي في شراء ذلك الشيء».

ـ آه، حبيبتي، أردت فقط أن أضحكك.

مد يده حول خصرها وجذبها إليه.

عضت شفتها وقالت بصوت مرتجف: «أتظن أن علينا أن نستسلم الآن؟».

قال وهو يقبل شعرها: «أبوك ليس قادراً على كل شيء ونحن لسنا عاجزين، ولكن إذا كانت الشكوك تساورك حبيبتي، سأفعل ما تريدين. إذا كنت تريدين العودة إلى منزلك فما عليك إلا الطلب».

وراحت تفكر في ذلك متأملة. ولكن ما الذي ينتظرها في المنزل... البيت غير والد ثائر غضباً وخطيب عتال كالأفعى؟ ربما جولة أخرى من صيادي الثروات. رفعت بصرها تنظر في عينيه المخلصتين.

أخبرته بأنها تفضل الزواج بصائد ثروة صادق على أن تترك شخصاً آخر يستغفلها مجدداً. في الحقيقة نصف أوصاف الرجل الذي تظن أنها تتلاءم معه، ينطبق على جون. فهو لم يتقرب منها طمعاً بمالها، حتى أنه لم يحاول انتهاز الفرصة. لقد فكر ثم حزم أمره. لا أحد ينكر أن خياره جاء هادئاً محسوباً، ولمصلحته حتماً. ومع ذلك فهو يختلف تماماً عن صيادي الثروات الذين قابلتهم خلال السنوات القليلة الماضية.

ولكن لا شك في أن النصف الآخر من الأوصاف ينطبق على جون، فهو صادق و...

مالت عليه فجذبها إليه وعانقها. بعد ذاك العناق العذب، شعرت

بأحاسيسها تدور ثم تذوب، وأدركت أنها لا تنوي التخلي عن أي من هذه الأحاسيس.

همست: «جون، خذني إلى نيفادا».

ـ حالاً في هذه اللحظة.

تمتم بذلك. ثم ابتعد عنها وتحرك بالشاحنة.

* * *

ترجل جون عند أول محطة بنزين، اشترى عدة خرائط للطرق الرئيسية. كان قد سبق له أن كون الخطوط الأولية للرحلة في ذهنه، ولكنه عمل على تذكر تلك الطريق الرئيسية التي لم يمر بها منذ اثنتي عشرة سنة. الآن وبما أنهما يسافران حقاً، فقد حان الأوان لكي يرسم خطة أفضل.

نظرت كاثرين، وهي تتفرج على المجلات من فوق كتفه باهتمام: «ظننت أننا سنحسب حساب كل قرش تنفقه. هل نحن بحاجة إلى هذه الخرائط؟».

ـ كثيراً. تظهر هذه الخرائط طرق الولايات التي علينا اجتيازها ولكنهم لا يملكون كل الخرائط التي نحن بحاجة إليها هنا. لا أظن أن هناك طلباً لخرائط نيفادا في جنوب وسكنسن لأنها بعيدة جداً.

نظرت إلى الخرائط بذعر: «بعيدة جداً؟ جون، كم ستستغرق هذه الرحلة؟».

لم يكن ثمة فائدة من التقليل من شأن المعاناة التي أمامهما، كان عليه إخبارها بالحقيقة لأنه يحق لها أن تعرف ما ينتظرها.

ـ أطول مما ظننت في البداية. حوالى ثلاثين ساعة قيادة.

بدا عليها الفزع: «أتواجه ثلاثين ساعة من الجلوس في هذه الشاحنة؟».

ـ ليس دفعة واحدة طبعاً، فسنضطر إلى التوقف أثناء الرحلة.

ـ ستتخلخل أسناننا من الارتجاج وستصاب ساقيّ باعوجاج جراء التفافهما حول البراد الصغير.

- الأفضل ألا تشتمي الشاحنة، يا كاتي. فهي لن تأخذك فقط إلى نيڤادا. بل ستبعدك منها أيضاً.

تأوهت: «لقد نسيت أنني لن استطيع العودة بالطائرة من دون بطاقتي المصرفية، عندما ينتهي كل هذا. إلا إذا... جون، ماذا لو اتصلت بالشركة؟ إنها بطاقتي على كل حال وهي باسمي. كل ما عليّ فعله هو أن أزيل سوء التفاهم. وهم سيصدرون لي بطاقة مصرفية أخرى».

- لا مشكلة على الإطلاق ولكن إلى أين تريدينهم أن يرسلوها لك؟

- تباً لذلك. أنت تعلم أن الذنب هو ذنب أبي. انتظر فقط الاجتماع الهام التالي للمساهمين فسيحتاج إلى صوتي.

- ما زلت أعتقد أن عليك الاتصال به هاتفياً. ليس ضرورياً أن يكون الحديث عاطفياً. أخبريه فقط أنك بخير.

- بعد ما فعله بالبطاقة؟ إنه لا يستحق أن يطمئن عليّ.

بدا واضحاً أنها لن تذعن. هز كتفيه: «اسحبي جريدة من تلك المجموعة، يا كاتي».

أطاعته كاثرين وهي تعتذر من امرأة كانت تقف بجانب منضدة الصحف، ثم قالت وهي تطوي الجريدة تحت إبطها: «ثلاثون ساعة؟ هل الطريق إلى نيڤادا طويل إلى هذا الحد حقاً؟».

- ألم يحدث قط أن قامت أسرتك برحلة طويلة بالسيارة؟

نظرت إليه ببلادة.

أخذ يفكر من تراه يخدع؟ طبعاً لم يفعلوا ذلك. لقد صعب عليه أن يتصور جوك كاميل جالساً خلف مقود السيارة فهو لا يقود سيارته بوجود السائق الخاص أو المساعد، أو الحارس الشخصي. كما كان مستحيلاً تماماً أن يتصوره أحد كرجل عادي يقود سيارته أثناء الليل بعد إجازة اسبوع اكتسبها بعرق جبينه، ليصل إلى مقر عمله يوم الاثنين وزوجته تتثاءب بينما الأولاد نائمين في المقعد الخلفي...

قال بجفاء: «يبدو أنك لم تكوني تمزحين حين أخبرتني أنك كنت تلميذة ضعيفة في الجغرافيا. هل لديك فكرة كم تبعد نيڤادا من هنا؟».

قالت بعناد: «في ثلاثين ساعة يمكننا أن نقطع أوروبا كلها بالقطار».

- فكرة عظيمة. دعينا نحفظ هذا في الذاكرة عندما نهرب معاً في المرة الثانية، أم أنك نسيت السبب الرئيسي لهذه الرحلة؟

غضنت أنفها: «آسفة».

كان جون يعتبر حركتها هذه أظرف الحركات، وراح يجاهد لكي يمنع نفسه من معانقتها.

وضع الخرائط أمام الصندوق وأخرج محفظته. جاءت الموظفة التي كانت تضع زجاجات مياه في الثلاجة وقالت له: «أي مضخة استعملت يا سيدي؟».

أشار بيده نحو النافذة حيث اصطف عدد من السيارات: «لم ألاحظ الرقم لكنها الشاحنة الزرقاء هناك».

أضافت كاثرين بعذوبة، مازحة: «يعني تلك التي كانت زرقاء ذات يوم».

ابتسمت الموظفة وهي تسجل: «أتريدين أن أضع مشترياتك في كيس، يا سيدتي؟».

نظرت إلى كاثرين فبدت الحيرة عليها ورآها جون فتملكه الذعر. بدت وكأنها رأت شيئاً ذكرها بـ... جمع الخرائط والجريدة بسرعة: «شكراً، لكننا لسنا بحاجة إلى كيس. هيا بنا يا حبيبتي، علينا أن نواصل طريقنا إذا أردنا الوصول إلى شيكاغو الليلة».

قالت كاثرين وهما يتوجهان إلى الشاحنة: «لمَ العجلة؟ كان بإمكاننا أن نستعمل الكيس في جمع كل الأشياء التي اشتريناها. ثم ما قصة شيكاغو هذه؟».

- ألم تلاحظي الطريقة التي كانت تنظر فيها إليك؟

ـ أية طريقة؟

ـ كانت تفكر حتماً: يبدو لي أنني رأيت هذا الوجه من قبل. أمسكي الجريدة وابحثي فيها أثناء قيادتي السيارة.

لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن ينظر من فوق كتفها في كل مرة قلّبت فيها صفحة.

ـ ها هي ذي.

وأخذ ينقل النظر بين وجه كاثرين والصورة التي يبدو أنها أخذت عن لوحة مرسومة: «عرفت أنه عليك قص شعرك».

ـ متى كان لدي الوقت لذلك بالضبط؟ والآن، ماذا نفعل؟

رأى سؤالها ممتازاً: «نتابع خطتنا. ربما لم تميّزك الموظفة فأنت ترتدين ملابس رسمية في الصورة كما أنك تبدين الآن مختلفة تماماً بسروال الجينز وتصرفاتك العفوية. ونحن لسنا أيضاً متأكدين من أنها قرأت الصحيفة. لعلي تخيلت أنها نظرت إليك بحدة».

قالت بجفاء: «أتظنها أعجبت بالكحل في عينيّ؟».

ـ حتى ولو لاحظت الشبه، فهي ستنشغل بالزبائن الموجودين في المتجر وتنسى كل شيء عنك فهي لم تنظر إليك جيداً لتتأكد، كما أننا لم نقل شيئاً يمكنها أن تسمعه.

طوت كاثرين الجريدة ووضعتها جانباً: «ربما ستتصل بالرقم الموضوع في الجريدة وتسأل عن المكافأة. إذا ما تأكدت من شكوكها».

أراد أن يشتم: «وهل قدم أبوك مكافأة؟ تباً لهذا. كان عليّ أن أتوقع ذلك. ولكن لا يمكننا أن نخاف ونهرب من كل شخص يرفع حاجبيه لنا وإلا أثرنا الشبهات».

ـ سأذكرك بذلك كلما خرجت من محطة بنزين مندفعاً كالصاروخ وكأن المكان مطوق بمواد متفجرة.

لم يعبأ جون بالجواب.

عندما وصل إلى المحطة التالية، اختار أبعد مضخة بنزين وطلب من كاثرين أن تبقى في الشاحنة، فقالت باحتجاج: «ألا يمكنني أن أخرج حتى لأتمطى؟».

ـ ليس قبل أن أحضر لك شيئاً للتنكر.

ضاقت عيناها: «إذا أحضرت لي نظارات متصلة بشاربين فسألصقك بالجدار».

ضحك، ودخل المتجر، حيث راح يبحث عن ما يمكنه أن يخفي شبهها بالصورة المنشورة في الجريدة.

كان مزهواً بجهوده، لكن القلق بدا عليه حين فتحت كاثرين الكيس الذي ناولها إياه. كان أول ما أخرجته قبعة غولف نقش عليها رمز سلسلة مطاعم كاتي ماي.

ـ سيغطي أعلاها شعرك كله فالهدف من تصميم هذه القبعات هو تغطية شعر الموظفين عندما يعملون بالطعام.

ـ وماذا عن النظارات؟

ـ رأيت أن النظارات الشمسية تلفت النظر، ولهذا أحضرت لك نظارات للقراءة. إن إطارها القاتم العريض يبعد الانتباه عن هاتين العينين الزرقاوين الرائعتين.

تحرك بالسيارة فقالت: «وتسبب لي صداعاً ثقيلاً... انتظر لحظة... لن نتابع سيرنا قبل أن أجرب هذا التنكر».

ـ كاتي، سيكشفون أمرنا إذا دخلنا المتجر وأنت ترتدين القبعة والنظارات اللتين اشتريتهما لك لتوي.

أخذت تتذمر لكنه تابع السير، وبعد عدة أميال قطعاها، استقامت في جلستها وأشارت إلى حديقة عامة بجانب الطريق: «إذا لم أستطع الخروج من السيارة عند محطة البنزين، من الإنصاف أن تدعني أريح ساقي بالتنزه في مكان آخر. وبما أنني لن أستطيع مساعدتك في القيادة لأنهم أخذوا مني

الرخصة، أصبح مهماً جداً بالنسبة اليك، أن ترتاح من وقت لآخر».

وضحكت، فقال: «أنا واثق من أنك تعمدت ترك رخصة القيادة معهم».

ـ يمكننا أن نأكل في الحديقة ألا يوجد بطانية في مجموعة الاسعافات الأولية التي اشتريناها؟

أخرج البطانية الرقيقة كالورق، ثم تبعها إلى بقعة انتشرت فيها اشعة الشمس على العشب الأخضر. وقفت فجأة حتى كاد جون يصطدم بها. التفت إلى حافة جرف شديد الانحدار ينساب فيه نهر بكسل وقال: «إنه نهر المسيسيبي، ألم تريه من قبل؟».

ـ طبعاً، ولكن من الطائرة، كان كل شيء يبدو مسطحاً.

بسط جون البطانية الرقيقة على الأرض بينما سارت هي إلى حافة الجرف: «هذا رائع للغاية، وهادىء ساكن. لكنه ليس مثيراً كالجبال الصخرية والوادي الضيق الذي يجري فيه نهر غراند كانيون».

قطب جبينه: «إذا كنت قد رأيت الجبال الصخرية والغراند كانيون، فكيف لا تعرفين إذن كم تبعد بغدادا؟».

قالت ببساطة: «كنا في الطائرة».

واعتبر أن ذلك يفسر كل شيء. في الطائرة يمرّ الوقت. . ولكن دون احساس بالمسافة أو بالاتجاه كما هو الحال على الأرض. وتابعت تقول: «لكن هذا رائع. ليتني أملك آلة تصوير».

كان يحشو شطيرة ضخمة بالجبن واللحم، فقال: «آسف! أعجز عن القيام بشيء لأحتفظ بهذا المشهد، ولكن إذا كنت تفكرين في جمع ألبوم صور للعرس، ربما بإمكاننا أن نطلب بعض النسخ من صورنا التي التقطتها الكاميرات الأمنية».

ـ وربما هناك شريط فيديو من سيارة الشرطة تلك في مينيسوتا أيضاً.

قالت هذا بشاشة وهي تجلس متربعة وتمد يدها إلى شريحة لحم:

«جون، ماذا كنت ستفعل اليوم لو لم نكن هنا؟».

كان يتوقع مثل هذا السؤال، عاجلاً أو آجلاً، فأجاب: «أقوم بعملي المعتاد».

ـ وما هو عملك؟

ـ صناعة المعدات الالكترونية.

ـ أتعني تجمعها معاً؟ هذا يبدو مملاً.

ـ هذا غير صحيح. فهو أفضل من العمل في صنع المعدات البلاستيكية الذي كنت أقوم به. وقبل ذلك كنت أعمل في شركة كاتي ماي في سان بول.

أنهى شطيرته، واستلقى على البطانية، عاقداً ذراعيه تحت رأسه: «أعطاني أبوك شهادة تزكية شخصية منه لكي يساعدني في الحصول على تلك الوظيفة. أردتك أن تعلمي هذا».

رآها من طرف عينيه تعبث بشطيرتها، وتفتحها.

ـ هل ستقع في متاعب مع المفتش الذي يدعى برايان لعدم ذهابك إلى العمل طول أسبوع؟

متاعب؟ هذا دون شك وصف بسيط لما سيحدث، كما أخذ جون يفكر: «قد يدلي ببعض التعليقات».

الحقيقة هي أن برايان يتمنى لو يقليه على النار لكنه سيجد حلاً لهذه المشكلة حين يحين الوقت.

ـ لا تنسَ الاتصال به مرة أخرى يا جون. . .

كان قد أغمض عينيه فبدا صوته وكأنه قادم من مسافة بعيدة: «نعم».

ـ أي سبب ستتذرع به لعدم ذهابك إلى العمل؟

فقال نصف نائم: «صيد السمك. سأخبره بأنني ذهبت لصيد السمك».

* * *

تساءلت كاثرين لما تهتم بما سيخبر رئيسه؟ فبعدما يحصل على الخمسة

عشر بالمئة من الأسهم لن يعود بحاجة إلى العمل بل سيتمكن من الذهاب إلى صيد السمك على مدار السنة.

أم أنه عنى شيئاً آخر؟ شيئاً عن الوريثات ذوات الشعر الأسود؟

حدثت نفسها بألا تتحامق، لأنها هي من ألقى بالطعم. إنها تفقد السيطرة على مخيلتها. لا شك في ذلك، وكلما أسرعا في الوصول إلى نيفادا والارتباط بالزواج، كلما كان ذلك أفضل. جلست بجانبه بهدوء دقائق عدة تنظر إليه وهو نائم، لكنها تحركت أخيراً ومدت يدها، مرغمة، توقظه: «ما زالت الطريق أمامنا طويلة، يا جون».

جلس يفرك عينيه. ثم وقف ومدّ يده يساعدها على الوقوف. نظرت كاثرين إلى الشاحنة بازدراء. لم تكن قد صعدت اليها بعد، لكن ظهرها ما زال يؤلمها. قالت بحزم: «إذا قسمنا الوقت إلى جزئين، فسيبدو الأمر أسهل. خمس عشرة ساعة ذهاباً، ومثلها إياباً...».

هزّ جون رأسه: «بل هي ثلاثون ساعة ذهاباً وثلاثون إياباً. أظنني اخبرتك بذلك».

- ذهاباً وإياباً؟ أعطني الحبوب المنومة وأيقظني عندما نصل. اتفقنا؟

ساعدت المناظر على مرور الوقت. عندما اجتازا المدن الصغيرة والقرى سحرت كاثرين بطرازها الفيكتوري، وبيوتها الصغيرة الأنيقة، ولم تتوقف عن النظر إلى كل هذا إلا مرغمة حين طلب منها جون أن تبحث في الخريطة عن مدى تقدمهما.

قال: «أظننا ابتعدنا بما يكفي وبتنا قادرين على المجازفة وسلوك الطرق الرئيسية. ولهذا فإذا حددت طريقاً تصل بين الولايتين...».

حركت إصبعها على الخريطة: «أين نحن، على كل حال؟».

- لم أكن منتبهة تماماً. ما زلنا في آيوا كما أظن.

- لا بد أن هذه آش غروف إذن. هناك طريق رئيسي يسير إلى الغرب يوصلنا مباشرة...

ورفعت بصرها، آملة أن ترى علامة تحدد هوية المدينة، ثم شهقت: «لا أصدق ذلك. سوق للمزارعين، إنه أشبه ببطاقة بريدية مصورة!».

انتصبت بجلال أمامهما محكمة شيدت على شكل كعكة الزفاف وسط ساحة أشبه بموقف سيارات. وقفت في الشوارع المحيطة شاحنات فتحت أبوابها متباهية بعطاء البساتين في هذا الصيف المبكر.. وكانت شمس العصر تلف المشهد كله بأشعتها الدافئة الناعمة.

قال جون: «ما أجمل هذا! إلى أين اتجه الآن؟».

أشارت قائلة: «إلى هناك فالخريطة تشير إلى لافتة بعد الساحة، هذا إذا قرأت الخريطة بطريقة صحيحة».

- ماذا تعنين بقولك هذا؟ أتعلمين يا كاتي؟ أتمنى ألا تخبريني في أوقات كهذه، عن قدراتك في الجغرافيا.

تحول لون إشارة السير إلى الأخضر، وسارت الشاحنة إلى تقاطع الطرق. راح الاثنان يبحثان عن اللافتة التي تميز اتجاههما.

كان هذا ما جعلهما لا يريان السيارة التي اندفعت بعنف واصطدمت بزاوية الشاحنة الأمامية اليسرى.

***

٦ ـ حان وقت القرار

لم يسمع جون إلا صرير المكابح قبل أن تدفع الصدمة الشاحنة جانباً عبر الطريق الرئيسي. لم يتسن له الوقت لتجنب السيارة المهاجمة ولا للسيطرة على نفسه جراء الصدمة كما أنه لم يتمكن من حماية كاثرين من الحادث. عندما توقفت الشاحنة كانت كاثرين لا تزال ترتجف. خاف جون من النظر إليها، ليرى إذا أصيبت، خصوصاً بعد أن وضعت نفسها بحمايته. . . حاولت إقناعه بعدم شراء هذه الشاحنة اللعينة، لكنه أصر على شرائها، ونجم عن قراره هذا أنه ألحق بها الأذى.

ولكنها بدت على ما يرام. لم تظهر عليها أي رضوض، ولم يكن الدم يجري على وجهها. سألها: «هل أنت بخير؟».

لم تجب.

فألحّ قائلاً: «تباً يا كاتي، هل أصابك ضرر؟».

نفضت رأسها قليلاً تستعيد صفاء ذهنها: «أنا على ما يرام! يمكنك أن ترتاح، فأنا لن أموت قبل أن تحصل على الخمسة عشر بالمئة من كاتي ماي».

راح يفكر بانزعاج: يجري حتماً في عروق هذه المرأة ثلج لا دم، فأول فكرة خطرت لها هي المال. قال بلهجة قوية: «هذا أمر جيد، لكنه ليس ما يقلقني حالياً فأنا أخشى مواجهة والدك إذا ما أصابك مكروه».

ـ ماذا حدث؟ ماذا صدمنا؟

نظر عبر الزجاج المهشم وغطاء السيارة المحطم يتأمل السيارة التي

التفت حول زاوية الشاحنة: «إنها كاديلاك قديمة».

ـ حسناً، هذا يفسّر الأمر، لأن إحداث ضرر في هذه الدبابة يستلزم حقاً سيارة كبيرة.

ـ احمدي الله على أننا لم نكن نقود سيارة أصغر حجماً وإلا لقذفنا منها. ربما علينا أن نرى ما إذا كان السائق الآخر بخير.

مالت كاثرين نحوه تلقي نظرة: «كيف تريد القيام بذلك؟ فبابي لا يفتح من الداخل وقد سدت بابك السيارة. الخبر الجيد الآن هو أن البابين أصبحا متماثلين فكلاهما غير صالح».

اعترف بأنها محقة. حاول فتح نافذته وارتاح عندما نزل الزجاج بسهولة.

رأى الناس يتوافدون بكثرة. ازدحم حولهما كل من كان في السوق وأخرج رجل سكين جيب وقطع به الشريط اللاصق الذي وضعته كاثرين لسد الفجوة وفتح الباب. بعد لحظة مدّ اليها يد المساعدة: «آسف للطريقة التي حييناك بها، يا سيدتي. لسنا معتادين على تحية الغرباء بهذا الشكل الفظ في منطقتنا».

ـ ظننت أنها عربة الترحيب اندفعت لاستقبالنا.

بدت روح النكتة في صوتها مصطنعة قليلاً. فكر جون بأنها ليست هادئة البال كما تظاهرت.

لكن ضيقه تلاشى حالاً.

خرج جون بعدها. وتصاعدت رائحة المكابح والمطاط المحترق من سحابة حول الحطام. شم جون رائحة أخرى، فانحنى وإذا به يرى بركة خضراء من السائل المضاد للتجمد تتشكل تحت مقدمة الشاحنة. حدث نفسه بأن جهاز التبريد قد انفجر، لذا عليه أن يضيف يوم تأخير آخر.

دفع الرجل الذي ساعدهما على الخروج من الشاحنة، فتبعته إلى الخلف وقال: «سترسل ساحة الخردة قاطرة لتجر الشاحنة حالاً».

- ساحة الخردة؟
ضحك الرجل: «آسف، نسيت أنها أيضاً مرآب تصليح».
- شكراً لاتصالك بهم.
- آه، لم يتصل أحد. فسرعان ما يحضرون حالما ينتشر خبر الحادث. ذهب رجلان لإحضار آلة إطفاء الحريق أيضاً ليطفئوا كل هذا.
مد يده اليه يعرفه بنفسه: «رئيس بلدية آشغروف «لاري بتسون»».
لم يجد جون طريقة لبقة يتجنب بها تقديم نفسه، فقال مرغماً: «جون كلارك».
نظر الرجل إلى كاثرين التي تقف مع الحشد بجانب الكاديلاك: «السيدة كلارك أليس كذلك؟ إنها سيدة راقية حقاً! تصاب معظم النساء بالهستيريا بعد حادث كهذا كما أنكما بعيدان تماماً عن موطنكما. لقد عرفت ذلك من لوحة السيارة. إنكما من مينيسوتا، صح؟».
- نعم.
قال جون ذلك وهو ينظر إلى سائقة الكاديلاك الجالسة خلف المقود. وسأل: «هل ستأتي سيارة الإسعاف سريعاً، هي أيضاً؟».
- أشك في أننا سنحتاجها. إنها امرأة من نوع مختلف.
بدا واضحاً أنه يعتبرها من النوع الهستيري: «هل تعرفها؟».
- آه، نعم. إنها دوماً تقود بطريقة هوجاء.
- أرجو أن تكون على ما يرام.
- إذا لم تكن كذلك فالذنب ذنبها. ستهرب حالما تجد أن التمثيل لن يجديها نفعاً، إذ قد رأى الحادث أناس كثيرون.
قال جون معترفاً: «أنا غير واثق من كيفية حدوث هذا».
- ربما ستقول إن الشمس منعتها من الرؤية... قد يحدث هذا في مثل هذا الوقت من النهار. لكنها أدركت تماماً أن الإشارة حمراء ومع ذلك اقتحمتها مثل... هوذا الشرطي! سيتولى التحقيق في الحادث.

فكر جون في أن هذا حقاً ما يحتاجان اليه. فالإجراءات تقضي بأن يفحص كل شرطي سجل السائق المتورط في الحادث بغض النظر عن هوية المتسبب به. وعندما يعود الملف....
قال رئيس البلدية: «لا تقلق لهذا، يا ولدي. لم يكن الذنب ذنبك. سنحرص على تسوية أمرك حالما...».
سكت واستقرت نظراته على الشاحنة المعوجة، بشكل شنيع: «حسناً، ربما لن تعود كما كانت، ولكن...».
قاطعهما الشرطي مطالباً برخصة سوق جون، ثم انشغل فترة بالإجابة عن الأسئلة والتوقيع على تقارير، ثم وقف بجانب كاثرين قرب إحدى العربات التي تبيع الطعام، وكانت تتفحص ما عليها.
نظرت إليه بعينين متسائلتين، لكنها توانت عن طرح السؤال وقالت بنعومة: «يزرعون خساً هنا. ما كان عليك قطع هذه المسافة لتلقي نظرة علي، عن قرب، يا جون».
- ظننتك تسترين برؤيتي. لقد نسيت قبعتك ونظاراتك.

اعتراها القلق للحظة، ثم هزت كتفيها: «فات الأوان الآن».
رأى أنها محقة. فإذا تعرف إليها أحد سكان هذه المدينة الصغيرة فسيقع الضرر. تجمع كل سكان المدينة في الساحة الآن يتفرجون على الحادث والغريبين.
- من المفترض أن تصل قاطرة الشاحنات إلى هنا قريباً.
- ما مدى الضرر الذي أصاب الشاحنة، يا جون؟
لم يستطع أن يواجه عينيها تماماً: «لن نتمكن من الذهاب إلى أي مكان الليلة. هذا مؤكد. عرض علينا رئيس البلدية إيصالك إلى النزل. يبدو أن هناك نزلاً واحداً في المدينة».
نظرت إليه بهدوء: «وماذا عنك؟».
- سأذهب مع القاطرة لأعرف ما يمكنني عمله.

ـ أراك تفرك جانب رأسك.

ـ إنه شيء تافه. لقد ارتطم بالباب عندما دارت بنا الشاحنة.

ـ عليك أن تضع عليه كيس ثلج. ما زال في البراد بعض الثلج. عليّ أن أبحث عن كيس بلاستيك أضعها فيه.

ـ دعي عنك ذلك يا كاتي. لقد وصلت قاطرة الشاحنة. الأفضل أن تأخذي ملابسك.

ابتعد عنها ومضى ينظر إلى القاطرة وهي تجر السيارة وارتفع صرير المعدن.

شعر بعد لحظة بيد باردة تلمس كمه، ثم بكاثرين تناوله كيس الثلج ملفوفاً بالقبعة التي أحضرها لتتنكر بها: «أرأيت؟ لدي وقت كثير».

أذعن للأمر ووضع الكيس فوق أذنه: «لا أظنك تريدين أن تجعلي رئيس البلدية ينتظر».

ـ جون! سنأتي إلى النزل، أليس كذلك؟

ـ حتماً، حالما أتمكن من ذلك.

رمقته بنظرة طويلة ثابتة، ثم أخذت تبحث خلف مقعدها في الشاحنة حتى جمعت حاجياتهما. ناولت رئيس البلدية بكبرياء كيسي الورق الأسمرين الذين وضعت فيهما ملابسهما وكأنها تناوله حقيبة جلدية ثمينة.

فكرّ جون: شخصية هذه المرأة فريدة من نوعها. لقد انتقلت بظرف أربع وعشرين ساعة من منزل أشبه بالقصر، إلى النوم في النزل الحقير، ومن ثوب الزفاف الرائع إلى بنطلون جينز اشترته من محل الثياب المستعملة، ومن قضاء شهر العسل في برمودا، إلى تواجدها الآن في بلد غريب ومدينة صغيرة متواضعة في ولاية ايوا. وبحوزتها مال قليل ومن دون أي وسيلة نقل. كما راح يفكر بانزعاج بأن مرافقتها له لم تحسن من حياتها أبداً.

* * *

كان النزل قريباً من الساحة. أمضى السيد بنسون رئيس البلدية، هذه

الرحلة القصيرة محدثاً كاثرين عن مدينته الصغيرة أشغروف: «إنها ليست أكثر من بقعة واسعة طبعاً، لكنها بقعة واسعة لطيفة».

وقف أمام نزل على الطريق الرئيسية. تذكرت كاثرين، بغموض، أنها سبق ورأته منذ ساعة تقريباً عندما مرت أمامه مع جون. لفت نظرها بسبب مدخله الجميل والأرجوحة الخشبية المعلقة أمامه، لكنها لم تتوقع أبداً أن تعود إليه مرة أخرى.

لم يخرج رئيس البلدية من سيارته، لكنه جلس لحظة ينقر أصابعه على عجلة القيادة. وأخيراً قال دون أن ينظر إليها: «إذا كانت ظروفك المالية سيئة، فالبلدية تخصص تمويلاً خاصاً للحالات الطارئة. يمكنني أن أحضر لك بعض المال».

تأثرت كاثرين بهذا العرض فاغرورقت عيناها بالدموع. عندئذٍ، أضاف بسرعة: «لا تعتبري ما قلته إحساناً، على الإطلاق. فأنتما بعيدان عن موطنكما وقد طرأت نفقات غير متوقعة... أي شخص معرّض لأوضاع حرجة مماثلة».

ـ شكراً يا سيد بنسون. أظننا سنتدبر أمرنا ليوم أو يومين.

ـ حسناً، إذا احتجتما إلى شيء، أخبريني. سأرافقك إلى الداخل الآن وأقدمك إلى جيني وسام.

كان المكتب خالياً. وبعد عدة دقائق دخلت امرأة متكئة على عصا: «مرحباً يا لاري. الفتيات في متجر الأدوات المعدنية اتصلن بي وأخبرنني أنك آت إلينا».

ركزت عينيها اللامعتين على وجه كاثرين متظاهرة بأنها لم تلحظ الكيسين الورقيين بين ذراعيها: «آسفة لما سمعته عن سوء الحظ الذي صادفك، يا عزيزتي. سأقوم وسام بكل ما نستطيعه لكي تكوني مرتاحة، لكنني آسفة لأن الخدمة هنا ليست جيدة جداً، خصوصاً الآن لأن التهاب المفاصل يزعجني كما أن الربو عاد يزعج سام مرة أخرى».

ـ أنا واثقة من أننا سنكون في أتم الراحة يا سيدة. . .

ـ ناديني جيني فقط، يا عزيزتي. تعالي معي إلى المطبخ، فالشاي جاهز الآن. لقد وضعت الإبريق على النار عندما اتصلت البنات. يمكنك أن تذهب الآن، يا لاري، وشكراً لأنك أحضرتها إلى هنا.

سارت أمامها إلى المطبخ: «ما اسمك يا عزيزتي؟».

فكرت كاثرين بسرعة في إمكانية إعطائها اسماً مستعاراً، لكنها عادت فأدركت أنها إذا حاولت تغيير اسمها في هذه المرحلة، فلا بد أن تتلعثم أو يزل لسانها، ولهذا أخبرتها بالحقيقة.

ـ إنه اسم جميل. أظن أنّ البنات في متجر المعادن قلن إنه كلارك، ولكن لا بأس. إنهن يخطئن دوماً.

ـ ذلك. . . اسم خطيبي.

رفعت جيني حاجبيها قليلاً: «آه، أحقاً؟».

حدثت كاثرين نفسها أنه بات عليها الاستماع إلى محاضرة أخلاقية عن السفر عبر البلاد مع رجل دون زواج.

لِمَ لم تتذكر في الوقت المناسب أنها في مدينة صغيرة أميركية؟ وما الضرر في أن تدع المرأة تظن أنهما متزوجان؟ فهما سيرحلان بعد يوم أو اثنين.

في هذه اللحظة، فكرت كاثرين بأنه كان بإمكانها وضع كيس الثلج الذي أعطته لجون على رأسها المتصدع. فقد أصبحت الأمور معقدة للغاية.

* * *

مضت أكثر من ساعة قبل أن يصل جون. كان الظلام قد انتشر وابتدأ الجو يبرد. اعترفت كاثرين بأنها شعرت بالارتياح وهي تراه ينزل من سيارة أمام المنزل ثم يتقدم نحو المدخل الأمامي حيث كانت تنتظره على الأرجوحة. كان يحمل البراد الصغير ويضع تحت ابطه لفافة.

توقف عند الدرجة الأخيرة: «يسرني أنك مستقرة. هل صادفتك مشكلة في الحصول على غرفة؟».

فكرت في أنها لم تصادفها سوى المشكلة التي كادت تسببها. لكنها قالت: «ما من مشكلة، ولم يستغرق مني فتح الكيس الورقي وقتاً طويلاً. خصوصاً وأنا لا أعلم كم سنبقى هنا».

وضع البراد الصغير على الأرض، وناولها اللفافة، ثم تقدم يجلس بجانبها على الأرجوحة.

نظرت إلى اللفافة. لم تكن بحاجة إلى فتحها لكي تعلم ما بداخلها. فقد أحضر لها نموذج محطة شاحنات وست بودنك التذكاري. ولِمَ لم يتركه تحت مقعد الشاحنة بدلاً من أن يحمله عبر المدينة؟ لم يكن السبب حتماً خوفه من أن يفقد في متجر الغيارات، مما يعني. . .

قالت: «الأخبار سيئة إذن! لا يمكنهم إصلاح الشاحنة، وهذا ما دفعك إلى إحضار كافة أغراضنا منها، صح؟ يدهشني أنك لم تحضر مكعبات النرد المعلقة على المرآة، فقد كنت شديد الولع بها».

ـ إنها في البراد. بإمكان كاراج جيد أن يصلح أي شيء تقريباً إذا توفر الوقت والنقود. لكن أسهل طريقة لإصلاح شاحنتنا هي أن تقطع إلى نصفين خلف مكان السائق مباشرة، ثم يلقى بالنصف الأمامي بعيداً ونضع مكانه نصفاً جديداً.

قالت وهي تجاهد كيلا يرتجف صوتها: «هذا حل غير عملي، خصوصاً بالنسبة إلى ميزانيتنا».

أومأ: «صح. حتى ولو دفعت لنا شركة تأمين تلك المرأة نفقات التصليح، فهذا سيستغرق وقتاً».

ـ والآن. . . ما العمل؟

أخذ جون نفساً عميقاً: «أظن أن وقت الاستسلام قد حان».

ـ أتريد أن تتوقف عن التفكير بالذهاب إلى نيفادا؟.

شعرت تقريباً بالارتياح. إلا إذا. . . ماذا بالضبط كان يعني بذلك؟ أتراه ألغى الرحلة الطويلة، أم فكرة الزواج بأكملها؟

ـ ذلك ليس واقعياً، يا حبيبتي. لا أدري ما الذي كنت أفكر فيه. محاولة القيام بتلك الرحلة الطويلة من دون راحة حقيقية. . . خطرة جداً. كان ممكناً أن تتضرري اليوم.

ـ لم يكن الاصطدام ذنبك، يا جون.

ـ بعد مضي يوم شاق آخر خلف المقود، قد أتسبب باصطدام جديد. أظن أن علينا اعتبار ذلك تحذيراً والتوقف قبل أن نوقع أنفسنا في ضرر حقيقي.

سألته بحذر: «إذا لم نذهب إلى نيفادا، فما الذي سنفعله إذن؟».

ـ ألا تمانعين؟

ـ لا أمانع في ترك هذه الرحلة الطويلة، إذا كان هذا ما تعنيه. وإنما أتساءل فقط عن الخطة البديلة.

ـ لم أفكر فيها بعد.

ترددت: «هل تغير شيء آخر؟».

ـ مثل ماذا؟

ـ أظن أن الخمسة عشر بالمئة من مطاعم كاتي ماي بدأت تفقد جاذبيتها بالنسبة لك، بسبب ما عانيته للحصول عليها حتى الآن.

لاح طيف ابتسامة على زاوية فمه: «ظننت أنني غيرت رأيي بالنسبة إلى العرض؟ لا، ما زلت أريد الزواج منك، والآن لو تسنت لي الفرصة».

اعتبرت أنه من اللطف أن يعبر عن ذلك بهذا الأسلوب. وكان تفاهمهما على هذه النقطة جيداً. . . على كل حال، لقد ارادت أن تنسى أنه ينوي الزواج من مطاعم كاتي ماي وليس من كاثرين نفسها. حاولت أن تجعل صوتها عفوياً: «إذن، ما رأيك في ثلاثة أيام؟».

ـ ما الذي تتحدثين عنه؟

ـ إنها المدة التي تستغرقها رخصة الزواج هنا. لا فحص دم، ولا اجراءات معقدة. نقدم طلباً للزواج، وننتظر للحصول على الرخصة ثلاثة

أيام، ثم نتزوج. هذا كل ما يلزمنا.

قال بشيء من الارتياب: «كيف عرفت كل هذا؟».

ـ أخبرتني بذلك صاحبة النزل.

ـ كاتي، كيف عرفت المرأة أنك مهتمة بهذا الموضوع؟

فكرت بأنه ما من داع لإخباره بالتفصيل عن أسئلة جيني الدقيقة، وعن عاصفة البكاء التي تملكتها ومواساة المرأة لها ورقة حديثها واهتمامها. وهكذا تجنبت سؤاله: «ربما لاحظت أن الناس في هذه المدينة غير ماهرين بالالتزام بشؤونهم الخاصة».

جعلها هذا التعليق، ورغم صحته، تشعر بعدم الوفاء نحو جيني: «أعني. . . حسناً، إنهم لا يقصدون الأذى. أظنهم يريدون المساعدة فحسب».

ـ نعم، لقد استنتجت اهتمامهم هذا فالعامل في الكاراج كاد يموت لكي يعرف التفاصيل. هو أيضاً، عرض عليّ عملاً إذا قررنا البقاء هنا.

ولامس خدها بقفا يده: «كاتي ماي. . . أنا عاجز عن التفكير في أي شيء أفضل القيام به هذا الأسبوع أكثر من البقاء هنا والزواج بك».

تنفست كاثرين الصعداء، فقال: «دعينا نذهب إلى السوبر ماركت ونحتفل».

ابتسمت: «هل هذا أفضل مكان في المدينة؟».

ـ أظن ذلك. على الأقل هو المكان الوحيد الذي يمكننا أن نحضر منه طعاماً، كما يبدو. والآن، بما أننا لسنا مضطرين لنوفر نقودنا لشراء البنزين للسفر إلى نيفادا. . .

ـ هل في البراد ما يستوجب الحفظ؟

هز جون رأسه: «لا أظن فيه ما يستحق الحفظ بعد أن أخذت منه كل الثلج لكي تخففي من إصابة رأسي».

ـ دعه هنا إذن، وسنأخذه عندما نعود إلى بلدنا. لقد وضعتنا جيني في

غرفة في آخر النزل.

قال مسروراً: «هل كانت حريصة على انفرادنا حتى قبل الزواج؟».

- قالت إن لا أحد سيزعجنا هناك، لكن الغرفة تتمتع ببعض الميزات.

- مغطس في الحمام؟ فراش مائي؟ ملاءات من الساتان؟.

- لا تدع مخيلتك تجنح بعيداً.

عندما أخذا يسيران في تلك الليلة الصيفية الدافئة. بدا طبيعياً تماماً أن يمسك بيدها. كان شذا الأزهار يتدفق مع النسيم نحوهما وهما يمران بالحدائق. ولم يفلح ضجيج الشاحنات الضخمة التي تمر أحياناً على الطريق الرئيسي في حجب تغريد الطيور المسائية.

قالت كاثرين: «آسفة لما حدث للشاحنة فقد بدأت أعتاد عليها».

- أنا كذلك، رغم أنها تستهلك ربع غالون زيت فقط لكل مئتي ميل.

- غريب أنك لم تخبرني بذلك من قبل.

- تعلمين جيداً لما لم أخبرك.

- لأنه كان سيغمى علي وأقول إنها غير آمنة.

ابتسم: «نعم، لكنك، في النهاية، كنت ستعودين إلى الركوب فيها على كل حال، أتعلمين يا كاتي؟ أنت امرأة رائعة. لم أصادف قط امرأة تواجه مثل هذه الأمور كما واجهتها أنت».

بالتفكير بعدد النساء اللواتي دون شك عرفهن، اعتبرت قوله هذا مديحاً حقيقياً. ولكن لِمَ لم تشعر بالسرور؟

* * *

عندما عادا من السوبر ماركت، كان النزل مظلماً باستثناء غرفتهما. لاحظ جون وجود عدد قليل من السيارات في الموقف العام، فقال متأملاً: «عجباً، أين يمكنهم أن يكونوا؟ فنحن لم نجد أماكن اجتماعية لقضاء الوقت هنا».

- النزلاء هنا قليلون جداً.

تملكته الحيرة: «لا بد أن يكون في النزل عشرون غرفة، ولقد علقت اللوحة المكتوب عليها: ما من غرف خالية».

- كانت اللوحة معلقة أيضاً حين أحضرني رئيس البلدية. جيني وسام لا يقبلان الكثير من النزلاء هذه الأيام. لكن وضعنا أثار فضولهما.

- وهذا شيء حسن.

سحب البراد من تحت الأرجوحة حيث تركاه ثم سارا إلى غرفتهما في نهاية النزل وهو ينظر حوله باهتمام: «فهمت الآن لما قلت لي إنني سأجد بعض المميزات».

- هه... لقد تطورنا! بتنا نملك مطبخنا الخاص... رغم أنه لا يضم إلا غاز ومجلى يسع كوباً، وثلاجة تتسع لنصف غالون من الحليب إذا وضعته بشكل جانبي.

داعبها جون قائلاً: «أمامي ثلاثة أيام لأعرف مدى مهارتك في الطهي قبل أن أقدم على عمل لا يمكنني الفاؤه».

كانت نائمة لا بل تتظاهر بذلك حين أنهى الاستحمام. أضاء المصباح بجانب السرير ثم أخذ ينظر إليها وهو ينشف شعره. أراد أن يجري اتصالاً هاتفياً أثناء نومها كيلا تطرح عليه الأسئلة. لذلك انتظر لفترة قصيرة وهو مستلق في السرير الدافىء والمريح، يتأمل وجهها البريء.

وعندما تأكد من أنها تغط في سبات عميق، انسل من السرير وارتدى ثيابه.

وجد الهاتف العمومي عند زاوية موقف سيارات النزل، تحت شجرة. كان مصباح الشارع القريب يلقي على الهاتف ضوءاً كافياً يسمح له برؤية الأرقام. بعد عدد من المحاولات جاءه الجواب نوعاً من التثاؤب، فنظر جون إلى ساعته وقال ضاحكاً: «مرحباً، يا برايان».

- مرحباً، يا فتى، أين أنت؟

- ما زلت في المنطقة الوسطى من الكرة الأرضية.

شخر برايان: «هذا يعني أنك تعلم أن هذه ساعة متأخرة لتتصل بي».
- لا بد أنك أمضيت يوماً شاقاً. بمكنتي أن أقفل الخط وأتوقف عن إزعاجك.
- لا! لا أظنك ستخبرني بما تريده هذه المرة؟
- لا. ليس هذا ما أتصل بك من أجله.
- فهمت. هل هي شقراء؟ سمراء أم شعرها أحمر؟
ضحك: «لا أدري لما تفترض دوماً أن هناك امرأة؟».
- لأن هذه هي العادة عموماً.
- والآن، فلنتكلم جدياً. هل سأل عني أحد؟
- المجموعة المعتادة فقط. أخبرتهم أننا اضطررنا إلى إرسالك إلى كاليفورنيا حيث ادخلناك إلى مستشفى سري.
قال جون بجفاء: «شكراً يا برايان. أنت صديق حقيقي ومخلص».
- هيا، يا رجل. كن واقعياً. أكره أن أجرح كبرياءك. لم يلاحظ أحد غيابك اليوم ولكن إياك أن تظن أن بإمكانك التغيب لأسابيع.
- حسناً، إذا جاء أحد يتسقط أخباري سائلاً عني.
- هل لك أن تشير إلى هوية أولئك المتشككين.
- لا، ما عدا أن أبي قد يكون واحداً منهم. أخبرهم فقط بكل ما تعرفه.
- لكنك لم تقل شيئاً عن أخبارك اللعينة، يا جون.
- إذن فلن تجد صعوبة في تذكر ما ستخبرهم به. سأتحدث إليك مرة أخرى بعد يومين.
أقفل الخط ووقف لحظة متردداً يحك ذقنه، ثم فتح ورقة مطوية مقطوعة من جريدة، أخرجها من جيبه، وتناول الهاتف مرة أخرى.
لقد أرجأ هذا الاتصال قدر إمكانه، ولكن عليه الآن أن يقوم به.

* * *

أيقظ كاثرين مواء خفيف. لكنها، في البدء، لم تكن واثقة من

مصدره. أتحلم أم أنها مستيقظة؟ نهضت متكئة على مرفقها، فسمعته مرة أخرى خارج النافذة أمام الغرفة.
نظرت إلى جون الذي كان وجهه مدفوناً في وسادته، فنزلت من السرير. وبعد دقائق كانت تجلس على حافة الشرفة أمام باب غرفتهما وهي تنظر إلى قطة صغيرة تهاجم شرحة لحم أخرجتها لها من البراد. فتح جون الباب بعد قليل: «أراك استيقظت باكراً. من هي صديقتك؟ لا تقولي إنها مجرد قطة شريدة، لأنك إذا أطعمتها فلن تستطيعي الخلاص منها وستلتصق بك كالغراء».
جلس بجانبها على الدرجات، والتقط قطعة أخرى من اللحم. فقالت ساخرة: «أنت ماهر في الكلام. ماذا قال لك برايان عندما اتصلت به الليلة الماضية؟».
- قال إن لا أحد يفتقدني، وإنه سيبقى متستراً عليّ قدر إمكانه.
- كان بإمكانك أن تتصل به من الغرفة.
- لم أشأ أن أزعجك. لكنني أظن أنني فعلت، أليس كذلك؟ فقد كان الصباح مضاءة حين خرجت، ومطفأ حين عدت.
اقتربت القطة منه وملت عليها فترك لها اللحم. ثم قال: «فلنلبس ثيابنا. لدينا عمل هام نقوم به هذا الصباح، علينا إحضار الحليب للقطة، آه، وهناك مسألة صغيرة أيضاً تتعلق برخصة زواج».

* * *

بدت الموظفة التي كانت تنتظرهما مسرورة بتأديتها مهمتها هذه: «تشعر المدينة كلها بالأسى لأنكما لم تستطيعا اتمام رحلتكما. لكن تصميمكما على الزواج هنا أمر مثير حقاً. وأنا مسرورة جداً لوجودي هنا أثناء ذلك».
ووضعت أمامها ورقة: «هذا هو الطلب. إملأه فقط على راحتكما».
وتابعت الموظفة: «ولكن لا توقعا الطلب، لأن على كاتب عدل أن يشهد على صحة التوقيع. سأنادي روزالي من الطابق الأعلى. ثم نكون

بحاجة إلى شهود ولكن يبدو أنكما أحضرتما جيني معكما . . . كما عليكما تسديد الرسوم عند الانتهاء».

مدت كاثرين يدها إلى القلم، بينما أخذ جون يحسب الرسوم.

ـ وطبعاً، أريد أن أرى رخصة سوق كل منكما.

كانت كاثرين مركزة على الورقة الرسمية، ولهذا مرت لحظة قبل أن تستوعب ما قالته الموظفة. فسألتها: «ماذا قلت؟ تريدين أن تري ماذا؟».

وضع جون مرفقيه على المكتب ثم وضع وجهه بين يديه وقال متأوهاً: «رخصة سوقك».

لكنها تركت رخصة سوقها أثناء هربهما من المصرف في ماديسن.

فكرت كاثرين: لا يمكن لهذا أن يحدث أبداً. هذا مستحيل . . . راحت تضحك وتضحك لسخرية القدر، ثم انفجرت بالبكاء.

* * *

٧ ـ سندريلا الخادمة

عندما أخذت كاثرين تبكي، رفع جون وجهه من بين يديه. رآها في هذه اللحظة بائسة، أكثر من أي وقت مضى. لم يمرّ وقت طويل حتى استحالت شهقاتها المهزومة إلى هستيريا.

لم يلمها أبداً فلو أدرك أن البكاء قد يفيد، لشاركها في ذلك.

وعوض أن يبكي، ضمها بين ذراعيه فاقتربت منه بشدة لم يعهدها قط، ودفنت وجهها في عنقه. فضربت زاوية حقيبة يدها المعلقة في كتفها ضلوعه، ولكنه لم يزحها كيلا تبتعد عنه كاثرين، وتعتبر ما فعله رفضاً لها. ولذا تحمل الضيق ووضع خده على شعرها: «تماسكي يا كاتي. سنحل المشكلة».

ارتبكت الموظفة بسبب العاصفة التي أثارتها كاثرين، فقالت بعجز: «إنها مجرد شكليات، خصوصاً هنا، حيث نعرف كل شخص. نحتاج رخصة السوق فقط لإثبات الهوية، لأن القانون ينص على ضرورة التثبت من الهوية».

تمتم جون: «ألا يكفي الشاهدة؟».

أجابت الموظفة: «عذراً يا سيدي، لكن جيني لا تعرفكما أكثر منا. فهي تأخذ معلوماتها عنكما منكما».

قالت جيني برقة: «نعم، هذا صحيح. لكنني واثقة أيضاً من أن هذين

الشابين يقولان الحقيقة وإلاّ لما كنا هنا هذا الصباح».

قالت الموظفة: «لا أستطيع فعل هذا وإلا فقدت وظيفتي. عليّ أن أتحقق من أيّ وثيقة تثبت الهوية وتحمل صورة. . . ».

كانت كاثرين تشهق الآن وقد كفت عن البكاء. حمد جون الله على ذلك. عادت الموظفة فقالت: «كل شخص يملك رخصة سوق، أليس كذلك؟».

فكر جون بأنها محقّة فهذه منطقة ريفية لا تضم عدداً ضخماً من وسائل المواصلات كما في المدن ولذلك فعلى كل شخص أن يتعلم القيادة.

ازدادت كاثرين تشبثاً به، فاشتد وكز الحقيبة في ضلوعه. قطب ثم أبعد كاثرين عنه برفق فأراح ضلوعه من الضغط، ثم أمسك بحقيبتها.

راح يفرغ الحقيبة بانتظام على المكتب: أحمر شفاه، مرآة، مشط، قلم حبر، وكلها حفرت عليها الحروف الأولى من اسمها. ومنديل يد مطوي بأناقة. . . انبوب كريم لليدين. . . مقص مع مبرد للأظافر. . . وصل بمبلغ هو ثمن التذكار السخيف الذي اشترته من مدينة وست بودنك، ومغلف صغير أبيض.

مدت يدها إليه قائلة: «ما هذا؟».

قال وهو يناولها إياه: «ألا تعرفين ما تحملينه معك؟».

ثم عاد إلى مهمته حيث أخرج كيساً صغيراً ذهبياً مليئاً ببطاقات العمل، فأفرغه بسرعة، ثم أعاد البطاقات إلى موضعها آملاً ألا يكون أحد قد لاحظ اسم شركة سلسلة مطاعم كاتي ماي المطبوع عليها. لِمَ ستأخذ هذه معها إلى شهر العسل على أي حال؟

قال متذمراً: «كيف يمكن للمرأة أن تجد ما تريده في هذه الحقائب الصغيرة السخيفة التي تحملها دوماً؟».

فتحت كاثرين المغلف وأخرجت منه ورقة زرقاء: «حسناً، هذه لا فائدة منها».

تمتمت وهي تمسح عينيها: «إذا لم تكن تمانع هلاّ أخبرتني عما تبحث يا جون، فربما بإمكاني إطلاعك على مكانه».

ـ لا بد أنه هنا في مكان ما، مكان آخر يمكنك أن تحفظيه فيه بأمان.

وأفرغ جيباً آخر بعد صبر: «جواز سفرك يا كاتي. أخبرتني أنه معك لأنك كنت في طريقك إلى. . . ».

كاد لسانه يزل أمام مستمعيه اليقظين: «لا بأس، ولكن لا بد أنه معك في مكان ما».

اتسعت عينا كاثرين: «لقد نسيت أمره تماماً».

وتناولت حقيبتها وأخرجت من جيب عميق فيها ملفاً صغيراً: «تصور، تبين أن دوغلاس كان مفيداً في بعض الأمور».

ونظرت إلى جون بارتياح وشكر: «جون، أنت رائع».

هز جون رأسه مذهولاً وهو ينظر إلى هذه التشكيلة المنثورة على المكتب: «كنت سأقسم على أنني أفرغت كل زاوية من هذا الشيء. ما هو عيب الجيوب العادية على كل حال؟ الرجال لا يتكبدون كل هذا الإزعاج في العثور على ما يريدون».

قالت الموظفة: «هذا لأن الرجل يعطي كل شيء هام لزوجته، قائلاً: خذي يا حبيبتي، ضعي هذا في حقيبة يدك».

ضحكت جيني: «أنت محقة، فهذا ما يفعله سام دوماً».

مدت الموظفة يدها إلى جواز السفر: «دعيني ألقي نظرة عليه. نحن لا نرى الكثير منه في هذه المنطقة. ولكن ما دام قانونياً وعليه صورة. . . ».

ونقلت نظراتها متأملة بين الصورة ووجه كاثرين: «هذه لا تشبهك بقدر ما تشبهك الصورة المنشورة في الجريدة».

حبس جون أنفاسه، بينما جمدت كاثرين بجانبه وسألها: «أي جريدة؟».

فأجابت الموظفة: «جريدة محامي آشغروف، وهي تصدر مرتين فقط في

الأسبوع. كان الحادث الذي أصابكما خبراً ضخماً شغل المطابع الليلة الماضية».

نسخت رقم جواز السفر، ثم تأملت الأختام التي تملأ الصفحات قبل أن تعيدها اليها: «آسفة، لم أكن أقصد أن أكون فضولية، ولكن هل ذهبت حقاً إلى كل هذه الأماكن؟».

أومأت كاثرين: «رغم أنني أشعر وكأن ذلك حدث منذ مليون سنة».

- أحب أن أزور إحدى تلك البلدان يوماً ما، أي بلد منها. لكن ما لا أفهمه هو، إذا كنت قد جلت في أنحاء العالم، فلما تسافرين عن طريق أشغروف في تلك الشاحنة القديمة؟

تنحنحت جيني بحزم فتورد وجه الموظفة: «آسفة، هذا ليس من شأني».

قالت كاثرين وهي تجمع أشياءها: «فضولك شيء طبيعي. كنا... حسناً، كنا نقوم بمغامرة».

- فهمت.

قالت الموظفة هذا بينما لم تفهم شيئاً: «حسناً، إذا سمحتما بإنهاء الطلب...».

أعادت كاثرين كل شيء إلى حقيبة يدها، ثم تناولت القلم.

بعد كل ما حدث، ما كان جون سيدهش لو رأى يدها ترتجف وهي تملأ الأماكن الفارغة، لكنها بدت ثابتة كالصخر. انتهت ثم ناولته القلم وهي تمتم: «في السراء والضراء، وطبعاً، أنا لم أنس الخمسة عشر بالمئة».

تردد، ثم وضع القلم فوق المستند. بجانب سؤال عن الاسم بعد الزواج، لاحظ أنها كتبت كاثرين ماي كلارك. كان خطها أنيقاً متقناً وكأنها تدربت عليه، أو كأن فكرة تغيير اسمها لم تهمها البتة.

وتساءل عما إذا شعرت بالشيء نفسه بالنسبة إلى تغيير حياتها.

قالت عروسه إننا نقوم بمغامرة. هل كانت تعني أنها لا تنوي أن تحدث

هذا الزواج أي تغيير حقيقي على الإطلاق؟

***

كانت المحكمة لا تبعد عن النزل سوى مسافة قصيرة. ولكن لأجل التهاب مفاصل جيني، أصرت عليهما أن يستقلا سيارتها. عندما عادت السيارة إلى المرآب سارت المرأة المسنة إلى مكتبها في النزل. أما كاثرين فجلست على الأرجوحة: «ماذا الآن؟ ما المفروض أن نفعله حتى يوم الجمعة؟».

صدمها الجواب الواضح الذي خطر لها فلم يعد بإمكانها أن تستعيد هذه الكلمات. كانت واثقة من أن جون لن يفوته هذا.

اندهشت كاثرين لأنه لم يبد على جون أنه لاحظ شيئاً فقال: «الأفضل أن نحسب نقودنا فبين أجرة النزل ورسومات الزواج، قد نفلس مع نهاية الأسبوع».

حدثت نفسها بأنه من الحماقة أن تشعر بخيبة الأمل لأنه لم ينتبه لسؤالها الساذج، فردة فعله هذه كانت أسهل بكثير لا سيما وأنها كانت سترفضه على كل حال.

ولكن، هل هذا صحيح؟

قالت: «من المؤسف أننا لا نستطيع استعمال الشيك الذي وجدته في حقيبتي هذا الصباح. كان ذلك سيريحنا من القلق بشأن النقود».

- هل هذا ما كان موجوداً في المغلف؟

أجابت ببطء وكأنها تستمتع بمذاق الكلمات: «عشرة آلاف. لا بد أن أبي وضعه في حقيبتي خفية ليفاجئني».

- إنفاق المال في برمودا؟ هذه فعلاً مفاجأة جميلة.

- إلا أنه محرر باسمي وباسم دوغلاس. لذا لن يفيدنا إلا إذا شئت انتحال اسمه.

لم يبدُ عليه أنه سمع: «مازلت أفكر في أن عليك أن تتصلي بأبيك، يا

كاتي».

نظرت إليه ساخطة: «لِمَ؟ كي أدعوه إلى العرس؟ جون، من غير المعقول أن تتصرف بحماقة وتثير المشاكل. يكفي ما سيحدث عندما تذيع الخبر».

ـ الخبر؟ أنك تزوجت من ابن البستاني؟ هل هذا ما تعنينه؟».

ذهلت: «لا. ليس هذا. أشك في أن أبي سيسعد بزواجي حالياً بغض النظر عن هوية العريس. ربما سيظن أن زواجي منك ما هو إلا ردة فعل وأنك انتهزت الفرصة من دون أن تمنحني وقتاً للتفكير».

ـ أليس هذا صحيحاً بالنسبة لكلينا؟

فقالت بحدة: «بالطبع لا. ولكن لا يمكنك أن تتوقع من أبي أن يتفهم أسبابنا».

قال بجفاء: «تعنين أسبابك. أردت الزواج بصائد ثروات لكي تتجنبي ملاحقة صائدي الثروات الآخرين يمكنني أن أتفهم انزعاج أبيك من هذا المنطق».

ـ بالضبط. وبالرغم من أن شرح سببك أسهل قليلاً، فلا تتوقع أن يعجب أبي به.

قال: «بما أنك ذكرت هذا، فأنا لا أعتقد أن والدك سيهنئني على مفاوضات اتفاقيتي معك قبل الزواج».

ـ لهذا السبب فمن الجنون إعلامه بذلك لأنه إذا وجد أقل فرصة لمنع هذا الزواج، فسينقض علينا كالنسر. وبما أننا لا نستطيع متابعة الهرب، فسنستلقي هنا بانتظاره، كالموتى. وهكذا. . .

سمعا صوت قرقعة باب المكتب، ففتحه جون وساعد جيني على الخروج منه ومعها عربة صغيرة وضعت عليها بياضات وأدوات غسيل.

سألته ببشاشة: «هل لكما أن تخرجا من الغرفة لفترة قصيرة؟ فتنظيف الغرفة سيستغرق مني حوالى الساعة، لأنني، مع الأسف، لم أعد أستطيع الحركة كما كنت».

نظرت كاثرين إلى جون. لا بد أن مظهر الرعب على وجهه قد انعكس على وجهها. لم يخطر ببالها قط أن جيني لا تملك طاقماً من الخادمات لتنظيف الغرف، أو أن تحديد عدد النزلاء عندها سببه عدم قدرتها على خدمتهم.

قالت كاثرين للمرأة: «عودي إلى الداخل ودعي عربة البياضات هنا. عندما أنتهي من تنظيف غرفتنا، فسأنظف الغرف الأخرى. اكتبي قائمة بأرقام الغرف وحاجات كل منها، وبهذا لن يفوتني شيء».

بدأت جيني بالاحتجاج، ولكن عندما هدد جون بحملها بنفسه عائداً بها إلى المكتب، أذعنت أخيراً. أمسك لها الباب ثم عاد ليقف عند المدخل واضعاً يديه على وركيه وهو ينظر إلى كاثرين متأملاً: «كنت أمزح عندما قلت إنك ستمسحين الأرض في البيوت لكي تدفعي نفقات رحلتنا».

ـ هذا حسن، لأنها إذا حاولت أن تدفع لي أجراً، فسأرفضه. أنت تظن أني لا أعرف شيئاً عن الخدمة والعمل في البيوت، أليس كذلك؟

ـ أظن أنك قادرة على فعل كل ما تصممين عليه، يا كاتي.

ـ كان أبي يقول لي دوماً ألاّ أرفض فرصة تعلّم شيء أبداً، لأنني لا أعلم متى قد أحتاج إلى ذلك.

سارت بجانبه وهو يجر العربة نحو غرفتهما: «ومع ذلك، يخطر ببالي أنني قد أعود إلى البيت فلا أجد عملاً».

ـ لا أظن أن أباك سيطردك حقاً، أليس كذلك؟

ـ سيكون ذلك عقاباً لأنني حكمت بالسوء على الأمور وليس لأنني تزوجت من ابن البستاني.

ـ ربما لا يفرق والدك بين الأمرين. أهذا هو السبب الذي يدفعك إلى فعل هذا يا كاتي؟

ـ أنت تعني أنني أنوي الزواج بابن البستاني كي أغيظ والدي؟ لا يا جون. ما أفعله لا علاقة له بأبي، وأنا لا أفكر بك أبداً كابن البستاني لأن فيك شيئاً ما. . .

لم يسبق أن فكرت في ذلك من قبل.

والآن وهي تفكر بالأمر، عجزت عن إيجاد ما يميزه عن غيره، أهي ثقته بنفسه؟

ثم هناك رقته وشهامته اللتان تشعرانها دوماً بالدفء والراحة والأمان.

بجانب باب غرفتهما، ربضت القطة تحت شجيرة ورد غير مشذبة. وما إن رأتهما حتى ماءت بشكل مثير للشفقة. قالت لها كاثرين: «يا لك من محتالة! لا يعقل أن تكوني مازلت جائعة بعد أن وضعت لك محتويات علبة كاملة من الطعام».

انحنى جون ومد يده: «تعالي أيتها المحتالة».

زحفت من تحت شجرة الورد ووضعت مخلبها على معصمه متوسلة.

فقالت كاثرين: «هذا أمر شنيع. أنا أطعمها لكنها لا تسمح لي بلمسها... وإنما تأتي إليك. أنا أرى فيك سحراً يجذب السيدات، يا جون، ولكن هذا يكفي».

ضحك. وبعد ذلك بلحظة، وبسرعة لم تكد تلحظها، أمسك بالقطة من رقبتها وقال ببشاشة: «خذي، يمكنك أن تحمليها».

ألقت كاثرين نظرة على المخالب الأربعة التي شهرتها القطة في وجهها، ثم تراجعت إلى الخلف: «لا، شكراً. ليس قبل أن تروّضها أكثر».

قال متفجعاً: «جرحت إحساسي. منذ لحظات جرحت كرامتك لأنها فضلتني عليك، لكنك الآن تريدين أن تستغلي موهبتي».

ووضع القطة على الأرض.

قال: «يبدو أنني لست جذاباً كما قلت فها هي تغسل آثار رائحتي عن جسمها».

- لو تصرفت كل انثى عملت على جذبها هكذا لكنت نلت ما تستحق.

- أن تستحم أمام الناس؟ يا لها من صدمة.

قطبت والذكرى تنبعث في نفسها: «أنت تعلم تماماً ما أعنيه. أكنت

تملك يوماً هراً كبيراً أسود، أبيض البطن؟».

- نعم، كان اسمه تكسيدو. لماذا تسأليني؟

- أتذكر أنك سمحت لي بأن ألامسه مرة.

لم يجب. ولكن استغراقها في الذكريات جعلها لا تلحظ الصمت إلا بعد لحظة. فأرغمت نفسها على الضحك: «لم أكن أقصد إثارة عواطفك. وغريب أن أتذكر مثل هذه الأشياء التافهة. لا بد أنني كنت في الخامسة أو السادسة حينذاك».

قال: «كنت في السادسة وقد فقدت لتوك أول سن أمامي. ولم يكن هذا أمراً بسيطاً بالنسبة إليك، حينذاك».

طرفت بعينيها: «أتعني أنك تتذكر ذلك أيضاً؟».

- بكل تأكيد، لأن ما جرى كان أمراً غير عادي فلم يكن مسموح لك، قبل التهديد بخطفك، بالاحتكاك بأولاد المزرعة الآخرين. أما بعد التهديد فكنت محاطة بالمربيات والحراس الشخصيين مما يمنعنا من الاقتراب منك حتى ولو شئنا ذلك.

- وأنت لم تشأ ذلك، أليس كذلك؟ أنا لا ألومك أنت شخصياً، يا جون... بل كل الأولاد. لم يكن أحد يحبني. آسفة إذا بدا كلامي شكوى، فهذا ليس صحيحاً. أنا أخبرك الحقيقة فحسب.

- لم يحبك أحد؟ ولكن لم يعرفك أحد جيداً لكي يكرهك. أنظري إلى ذلك من وجهة نظر الأولاد، يا كاتي. فقد كنت تلك الأميرة الصغيرة! نظيفة وأنيقة دوماً، وشعرك مرتب. كنت غاية في الكمال، لذا لا يمكنك أن تلومي ولداً لاعتقاده أنك لست مسلية كفاية كي يلعب معك.

قطبت جبينها: «هل هددوكم كي تبقوا بعيدين عني؟».

- لم يؤثر التهديد فيّ كثيراً، فقد كنت أكبرك بست سنوات، وما كنت سألعب مع فتاة صغيرة.

- لكنك سمحت لي بأن ألاطف قطك.

- كان ذلك أمراً مختلفاً. لقد نظرت إلي، كما أذكر، بهاتين العينين الكبيرتين الزرقاوين وأخبرتني برصانة أنك لم تملكي أبداً قطة تلعبين معها.

قالت ببطء: «وشعرت بالأسف حيالي».

- طبعاً شعرت بذلك، فهم لم يسمحوا لك أبداً بالركض على العشب. وقد عقد اجتماع بين جميع المستخدمين لكي يحددوا على من يقع اللوم عندما علق على ثوبك وبر القطة.

بدت مهتمة وسألت: «هل ضايقك أحدهم عندها؟».

- لا. ربما اعتقدوا أن القط يتسكع وحده في الأنحاء، كما أنك بقيت صامتة على الدوام، لم تنطقي بكلمة. الأفضل الآن أن نبدأ العمل وإلا طردتنا جيني.

- لست مضطراً للمساعدة، فأنا التي تطوّعت للعمل.

- ما كانت فلسفة أبيك؟ لا ترفضي فرصة تتعلمين فيها شيئاً؟ قد يكون ذلك مفيداً لك يوماً ما.

ورفع المكنسة الكهربائية عن العربة، وأضاف: «حتى ولو ساعدتك بدفع الأغراض ونقلها فهذا سيقوي عضلاتي ويجعلني قادراً على حمايتنا معاً إذا أدركنا والدك».

* * *

فهمت كاثرين بسرعة السبب الذي دفع جيني إلى تحديد عدد نزلاء النزل إذ أن العمل مضني دون ذكر التهاب المفاصل الذي يزيد الأمور سوءاً. فعندما انتهيا من تنظيف غرف النزلاء الست، شعرت كاثرين بالتعرق والحرارة وبألم في ظهرها. لكن كان لا بد أن تعترف برضاها وهي تقف عند باب غرفة انتهت من تنظيفها، تحدق إلى نتيجة عملها الشاق. وقالت لجون: «هذه مكافأة أفضل من تلك التي كنت أحصل عليها أحياناً من العمل في شركة كاتي ماي. ثمة الكثير من العمل المكتبي في وظيفتي، مما يذكرني بأنك ذكرت شيئاً عن اتفاقية قبل الزواج. أنظن أن علينا أن نضع

اتفاقيتنا خطياً يا جون؟».

توقف عن محاولة تفكيك المكنسة الكهربائية ونظر إليها مفكراً: «في حال كنت لا تثقين بأنني سأمنحك نصف ما أملك من متاع الدنيا».

وأخذ يحسب: «مما يعني أنك ستحصلين على نصف الشاحنة المحطمة. وعلى بضعة دولارات نحصلها من شركة التأمين وساحة بيع الخردة. ثم لديك نصف السيارة التي ما زالت في مينيسوتا، شرط أن تدفعي نصف فاتورة التصليح. كما أنك ستحصلين على نصف...».

- لا تكن سخيفاً يا جون.

- ألا تريدين أن تدفعي نصف الفاتورة؟ أنا موافق على أنها مسؤوليتي، ولكن ما كنت لأتعرض للمخالفة لو أنني لم أساعدك على الهرب.

قالت نصف ساخطة: «أظنك تريد مني أن أدفع نصف المخالفة أيضاً؟».

- لقد سبق وفعلت هذا. فقد أخذتها من نقودنا المشتركة في أول ليلة.

ظهرت نظرة الرضى عن النفس في عينيه فابتسمت مرغمة: «هذا حسن، وسأسدد فاتورة التصليح أيضاً، رغم أن المصباحين الخلفيين كانا سيتعطلان في أي مكان آخر، وبغض النظر عن الشخص الذي تكون برفقته. والآن هل لك أن تكف عن تغيير الموضوع يا جون؟ أنت تعلم جيداً أنني أتحدث عن الخمسة عشر بالمئة من شركة كاتي ماي. إذا شئت أن أسجلها لك خطياً، فسأفعل».

نظر إليها مفكراً: «أنت تريدين حقاً أن تري البخار ينفث من أذني والدك، أليس كذلك؟».

- هذا ليس من شأنه.

- إذا علم يوماً أن هذا شرط زواجنا فسرعان ما سيجعل الأمر من شأنه. أظن من الأفضل أن نترك الأمور على حالها كما أننا لن نستطيع توكيل محام لإجراء المعاملات، واتفاق نحرره بنفسينا لا يحمل قيمة قانونية.

ـ ربما هذا صحيح.

وطرقت جيني الباب: «أكره أن أقاطعكما، ولكن هل كل شيء على ما يرام؟».

ـ انتهينا تقريباً.

قالت كاثرين هذا وهي تضع الملاءات المستعملة في الغسيل: «تفضلي. لا أدري كيف يمكنك القيام بذلك، يا جيني».

ـ اعملي على دفعات، فتستغربين كيف ينتهي العمل. جئت لأدعوكما لمشاركتنا، أنا وسام، العشاء ثم لعب الورق.

قالت كاثرين مهددة: «إذا كنت ستخبرينني بأنك أمضيت النهار في الطهي...».

ـ لا يا عزيزتي. أحضرت لي امرأة من مجموعتي في الكنيسة قدراً من الطعام بحجة أنّ سام مريض، لكنني أظنها تريد أن تراكما.

وابتسمت بخبث: «وسيكون من الظلم ألا تشاركانا هذه الهبة السخية. أراكما بعد نصف ساعة إذاً؟».

عندما عادا إلى غرفتهما، قالت كاثرين: «ما زلت أظن أنه من الأفضل أن نسجل الاتفاقية خطياً. فقط لنوضح تماماً أننا اتفقنا بهذا الشأن».

ـ أتعلمين يا كاتي ماي...؟ عندما يصل القاضي إلى الجزء الذي يقول: أمنحك كل متاعي الدنيوي اغمزيني، وسيعلم عندها كلانا ما تعنين.

غضنت أنفها: «لا أظن أن القاضي يستعمل هذه الجملة، بل الكاهن فقط».

ـ ربما إذا طلبنا منه ذلك بشكل لبق، فسيقول لنا هذه الجملة بشكل استثنائي.

* * *

كان الطعام لذيذاً. وكانت كاثرين صادقة تماماً عندما أخبرت جيني بأن هذه ألذ وجبة طعام تناولتها منذ أيام طويلة.

كان جيني وسام يجيدان لعب الورق أما جون وكاثرين فمنيا بهزيمة كبرى.

قال جون لكاثرين بلومها: «لم أكن أظنك عاجزة يا كاتي».

ـ يا لك من خبير!

ردت عليه بحدة ثم ذهبت مع جيني تساعدها على تحضير القهوة والحلوى. وفيما كانتا تنتظران القهوة سألتها: «أهناك مصبغة قريبة؟ لم يعد لدينا ثياب نظيفة».

ـ تعمل غسالة ثيابنا طيلة النهار. أحضري أشياءك وأغسليها هنا.

لم ترفع جيني عينيها عن الفطيرة التي تقطعها.

ـ وبمناسبة الحديث عن الملابس يا ابنتي، ماذا ستلبسين في عرسك؟

كان هذا سؤالاً لم تفكر فيه كاثرين: «بنطلون جينز، كما أظن. هذا كل ما أملك».

هزت جيني رأسها آسفة: «ما من خيار كبير في المدينة. من المؤسف أننا فقدنا آخر متجر للملابس هنا. لكن هذا من سيئات الحياة في مدينة صغيرة».

قالت كاثرين وكأنها تحدث نفسها: «المهم هو أن أتزوج لا ما أرتدي».

فوافقتها المرأة: «هذا هو عين العقل».

لم تشعر كاثرين بالتعقل فهي لم تستطع منع نفسها من التفكير بأسف في ثوب الزفاف الساتان والدانتيل الرائع الذي تركته في حوض الحمام حين هربت من دوغلاس. لم تفتقد الثوب بحد ذاته فهي لن تتمكن أبداً من ارتدائه، لأنه سيعيد إلى ذهنها الكثير من الذكريات عن أسعد أيام حياتها...

أسعد؟ ذهلت، بمَ تفكر؟

لا بد أن اللعب جعل ذهنها يلتوي. أتعس أيام حياتها... هذا ما كانت تعنيه. كان السبت الماضي أتعس يوم عرفته في حياتها. لقد اكتشفت

فيه غدر خطيبها، وأدركت أن والدها لن يقدم لها يد العون.

مما اضطرها إلى الهرب مذعورة، لتعثر على جون... لكن عثورها على جون لم يكن حدثاً تعيساً. فقد كان أفضل حدث عرفته في حياتها.

حملت صينية الحلوى بذهن شارد، ثم تبعت جيني إلى غرفة الجلوس الصغيرة خلف مكتب النزل.

كان سام يقول: «لدي دهان للرواق أيضاً، لكن طبيبي لم يسمح لي بعد بصعود السلم، ولا أدري إن كان لديك وقت...».

صاحت به جيني: «سام، كفى طلبات. لقد ساعدنا جون بما يكفي فلا تحاول إقناعه بالمجازفة بحياته وصعود السلم».

ـ لم أكن أطلب منه، يا جيني، كنت فقط أتحدث عن ذلك.

قال جون بصوت هادىء رضي: «يسعدني أن أدهن لك الرواق».

فكرت كاثرين في أن العديد من الرجال قد يوافقون على القيام بهذا العمل، باستياء أو غضب ولكن ليس جون. لم يكن ذهنها مشتتاً على الإطلاق منذ دقائق لأن اللحظة التي تعثرت فيها بجون وكادت تقع عليه خارج كوخ أبيه، كانت أسعد لحظة في حياتها، أو ربما أسعد لحظة جاءت بعد ذلك بقليل. ربما لم تكن حين وقعت عليه، بل حين وقعت في غرامه.

عندما وقعت في غرام جون كلارك!!...

* * *

٨ ـ هل أقلقت نومك؟؟

هزت هذه الفكرة كاثرين من أعماقها. فالوقوع في الحب هو بالضبط ما كانت تخشاه.

لم يتملكها الذعر لأنها تحب جون بالذات، كانت الفكرة عموماً هي التي أزعجتها.

فقد أدركت منذ زمن طويل أن وقوع امرأة في وضعها في الحب هو أمر غير عقلاني على الإطلاق، إذ أن الحب يجعلها ضعيفة أمام الرجل الذي تحبه مما يسمح له بانتهاز الفرصة واستغلالها.

وقد ثبتت صحة هذا عندما عرفت بخداع دوغلاس لها فلم يؤثر ما حدث إلا على كرامتها. ولأنها لم تكن من الحماقة بحيث تظن نفسها واقعة في غرامه، فقد بقيت صافية الذهن قادرة على رؤية عيوبه. وعندما اكتشفت خطته الحقيقية تمكنت من التصرف بهدوء وسرعة وحزم. ولكن لو أنها أخطأت ووقعت في حبه، لوجدت نفسها تصغي إلى توضيحاته، وتصدق وعوده وتصفح عنه، لا بل تختلق الأعذار له، ولأتمت الزواج.

وارتجف لهذه الفكرة.

لا. لن تسمح لنفسها قط بأن تصبح سريعة التأثير وأن تفقد تركيزها، بل على العكس، عليها أن تبقي مشاعرها بعيدة وستبني خياراتها في الحياة على العقل والمنطق بدلاً من بنائها على ذلك الشعور اللاعقلاني واللامنطقي الذي يدعى الحب...

فكرت بارتياح مفاجىء في أن ذلك ما فعلته بالضبط، حين قدمت لجون عرضاً عقلانياً منطقياً، فقبله بدوره بكل منطق وعقلانية.

ولذلك فلا تستدعي فكرتها الجنونية العابرة هذه القلق. لقد جاءت هذه الفكرة بعد مضي وقت طويل على اتخاذها القرار لذا فهي لا تتعلق باتفاقهما، كما أن فكرة وقوعها في حبه هي تأثر مؤقت ناتج عن اعتمادها عليه وحده طيلة هذه الأيام. وعندما تعود إلى حياتها المعتادة، فستستعيد بسرعة رأيها المستقل، ويصبح كل شيء على ما يرام.

وبالتالي ستحتفظ الاتفاقية التي عقداها بينهما بطابع العقلانية والمنطق. أما تخليها عن الاتفاقية بسبب قناعة غريبة مفاجئة بأنها أصبحت تحبه فهذه حماقة ما بعدها حماقة.

وتنهدت راضية، ثم أدركت أن جون ينظر إليها بإمعان، ثم قال: «إلا إذا كان لديك خطة أخرى لم تخبريني بها».

كانت قد نسيت الموضوع الذي كانوا يتحدثون عنه: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه».

قال بصبر: «طلاء الشرفة الأمامية، هل يتعارض هذا مع خططك إذا طلبتها غداً؟».

هزت رأسها.

نظر إليها بشيء من الاستغراب، ثم التفت إلى سام: «اتفقنا، اذا كان الجو ملائماً. لقد بدا الجمود على كاتي فجأة، وأظن أن وقت ذهابنا قد حان».

لم تكن قد لاحظت ذلك وهي تتناقش مع ذاتها. أنهى الثلاثة الآخرون تناول الحلوى، فتمتمت بشكل آلي، كلمات الشكر والوداع ثم أمسك جون بيدها وهما يخرجان.

- ما الذي كان يدور في ذهنك هنا؟

تساءلت، للوهلة الأولى، عما سيفعله إذا أخبرته. ربما سيهرب

صارخاً وقد أفزعته هذه الفكرة بقدر ما أفزعتها. إنهما الآن رفيقان ساران، وهذا هو المطلوب. فهو لا يريد حتماً زوجة متشبثة متملكة متطلبة كما لا تريد أن تصبح كذلك. فهذا لم يكن جزءاً من الاتفاقية.

قالت: «كنت متعبة فقط. أجهل كيف تستطيع جيني تنظيف الغرف كلها إذا كان النزل ممتلئاً».

- لن يستغرق طلاء الشرفة وقتاً طويلاً، وبعد ذلك أساعدك.

استقبلهما أمام غرفتهما مواء القطة. فقالت كاترين تخاطبها: «أتملكين الوقاحة لتسألي عن مكاننا؟ لقد بحثت عنك قبل الآن فلم أجدك».

فتح جون الباب. وقالت كاترين متأملة: «أمضينا ليلتين من المتاعب في المكان نفسه. لا أدري ما العمل. الأفضل أن ننتبه، يا جون... لقد تعطلت رحلتنا».

- أعلم هذا، فقد أخذ المكان يبدو وكأنه بيتنا. زاد من شعوري هذا وجود القطة، إذهبي إلى فراشك يا كاتي. سأطعم الليلة القطة بنفسي.

أخذت تنظر إليه وهو يملأ صحن القطة ويحمله إلى الخارج، شاكرة لتمضيتها بضعة دقائق بمفردها. مشطت شعرها وغسلت أسنانها وأطفأت ضوء الحمام وأبقت ضوء المطبخ مضاءاً، ثم استلقت على سريرها.

لم تدرك كم كانت ترتجف. شعرت بأنها لم تعد تحتمل شيئاً على الاطلاق. ولكن من ناحية أخرى فهذه ضربة موجعة، وظنت للحظات أنها دمرت كل شيء.

دخل جون وأخذ يتحرك في أنحاء الغرفة بهدوء. وعندما استقر في سريره تظاهرت بأنها نائمة بينما أخذ يسوي الوسادة وسرعان ما أصبح تنفسه هادئاً منتظماً. فتحت عينيها قليلاً لتنظر إليه. يا لغبائها! فهو ما زال جون الذي نظرت إليه مليون مرة في أيامهما الماضية معاً. هل سترى هذه المرة شيئاً جديداً لم تره من قبل؟

بدا وجهه في الظلمة الخفيفة كلوحة من الفن التجريدي. لم تنظر إليه

كما تنظر إلى قطعة فنية جذابة، بل أدركت وهي تتأمله غياب الشعور بالألفة المعتاد. وأحست بموجة من الحنان تكتسحها. لم تنتابها رغبة متلهفة في حياتها كتلك التي تملكتها الآن، رغبت في حماية ومواساة شخص والاهتمام به.

وعندما فتحت عينيها، توقعت أن ترى الرجل الذي تعتبره صديقاً وحليفاً وشريكاً في الهرب. لكنها لم تر ذلك بل رأت محور حياتها، أهم شخص بالنسبة إليها، شخص مستعدة لبذل حياتها لحمايته. أخيراً، تحول التوتر العصبي الذي تملكها إلى هدوء مضطرب عندما استقرت الحقيقة في قلبها، تلك الحقيقة التي حاولت مراراً نكرانها.

لقد أغرمت بجون كلارك رغم الجهد الذي بذلته للتخلص من هذه الفكرة. هذا الشعور لن يزول. كان عميقاً للغاية، وأكثر قوة وعنفاً من أن يتبدد.

لو أدركت أنه قادم لحمت نفسها منه، لكنه كدوالي العنب يلتف حول العريشة بشدة فيصعب تفكيكه بعدها.

غزا حبها لجون قلبها وقد فات الأوان الآن على استئصاله. كان حبها قوياً للغاية، وجذوره تمتد بعيداً ولم يعد أمامها سوى أن تتقبل ما حدث.

أخيراً، وعلى ضوء هذا التفهم الجديد، بدأت الأمور تصفو في ذهنها.

لا عجب في توترها عندما طلبت منه الليلة الماضية المكوث في آشغروف والانتظار ثلاثة أيام حتى يتمكنا من الزواج. فقد كانت خائفة لا بل مذعورة، من أن يغير جون رأيه بالنسبة إلى الزواج منها.

وبالرغم من الاتفاقية التي عقداها فهي تخشى ألا يهتم جون بالاتفاقية كما تهتم هي.

بات بإمكانها الآن أن تعترف لنفسها على الأقل، بأن الأمان في الزواج العقلاني ليس ما تلهفت إليه. فبالرغم من أنها حدثت نفسها عن هذا الأمان

وأقامت جدلاً عقلانياً حوله إلا أنه لم يكن هدفها الحقيقي. ما تريده حقاً هو جون، جون وحده. كانت مستعدة للوصول إلى أي مدى... حتى أن تكذب على نفسها، كي تحصل على مرادها... جون، الشخص الذي يمد يد العون دائماً لمن يحتاجه سواء أكان ذلك قطة أم زوجان واهنان، أم وارثة حزينة.

قال لها جون: ستتزوجين بصائد ثروة لكي تتجنبي الزواج من صائد ثروة. وهو محق تماماً في قوله. لم يكن جدالها منطقياً إلا بالنسبة إلى عقلها المعقد. يا له من تعليل تمسكت به لكي تضع مشروعاً مستحيلاً وتؤمن به!

وهي الآن تدرك طبعاً ما كان يجري حقيقة. فبعد مرور ساعات قلائل برفقة جون، أدركت من أعماقها أنها تريد البقاء معه بشكل دائم. ولهذا السبب اختلقت عذراً يتقبله الجانب العقلاني من ذهنها الذي يرفض بإصرار حماقة وقوعها في الحب.

ثم قدمت عرضها المجنون هذا وهي مقتنعة تماماً بأنها تتصرف بعقلانية، فجاء الرد بقبول جون عرضها. ما عساها تفعل الآن؟

شخر جون شخرة ناعمة فأجفلت كاثرين.

فكرت في أنها ستحصل على جوابها، تماماً كما فرض هذا الاكتشاف نفسه عليها، ولا حاجة إلى التسرع.

* * *

عندما استيقظت في الصباح، كان جون قد خرج، ولم يصعب عليها معرفة السبب. فهما لم يفتحا جهاز التكييف وكان النهار حاراً إلى حد الاختناق بالنسبة إلى شخص تعود على تمضية الصيف في شمال مينيسوتا، حيث نادراً ما يكون الطقس حاراً. وربما قرر أن يبدأ بالطلاء باكراً.

على كل حال، شعرت بالارتياح لعدم اضطرارها لمواجهته على الفور، خاصة في هذه الظروف الحميمة، لأنها لم تتوصل بعد إلى فكرة حكيمة عن

كيفية معالجة هذه المشكلة.

يفترض بها إخباره بأنها لا تستطيع أن تتزوج به رغم كل شيء. لكنه أخبرها سابقاً بأنه لن يستمع إلى أي إعلان من هذا النوع لا يكون مصحوباً بإيضاح، ولم تكن واثقة على الإطلاق من أنها تريد أن تفتح مجالاً لهذا. فهي، حتماً، تستطيع أن تقول له الحقيقة. لن تخبر جون أنها تحبه لأن ذلك يجعلها تبدو ضعيفة سواء تزوجته أم لا. فهي لا تزال آمنة من نتائج حماقتها ما دام لم يدرك بعد مداها. لا تظنه سيشرع في خداعها كما كان دوغلاس ليفعل، ولكن ستجعل تلك الحقيقة التعامل معه أمراً صعباً. فمما لا شك فيه أن امرأة عاشقة قد ترفض رجلاً من صنف دوغلاس يتعمد خداعها، أما رفض رجل مخلص كجون فأمر مختلف تماماً.

لا، يبدو جلياً أنها لن تستطيع الاعتراف بالحقيقة. قد تلجأ إلى حجج كي تلغي زواجهما إلا أنها قامت بعمل ناجح في مفاوضاتها قبل وصولهما إلى آشغروف، ولن تكون حججها مقنعة.

وثمة أمر هي متأكدة منه تماماً... جون لن يقبل إلا تفسيراً قوياً مقنعاً فالأعذار الهشة لن تنفعها.

لقد سبق أن قال لها إنه عندما يصمم على شيء يقوم به. لذا، سيتوقع حصول شيء قاهر دفعها إلى تغيير رأيها. وكان هذا التوقع منطقياً تماماً، ما دامت هذه الفكرة قد خطرت ببالها أصلاً، وقد سلكت كل هذه الطريق كي تنفذها. وإذا بها تجد نفسها في نفس الوضع الفوضوي المرتبك الذي بدأت فيه. أملت أن يشغلها الجهد الجسدي فيتمكن عقلها الباطن من حل هذه المشكلة، لذا، ارتدت الجينز وسارت إلى المكتب لتحضر عربة الباياضات، ووجدت جون في أعلى السلم أمام المبنى، وفي يده فرشاة دهان عريضة يتمطى ليصل إلى سقف الشرفة العالية ويطليها بطلاء أبيض لامع.

لو شعرت كاثرين بذرة من الأمل في أن ما اكتشفته في نفسها الليلة الماضية كان خطأ، لبددت ردة فعل جسدها إزاء هذا المنظر، ذلك الأمل.

لقد اكتسحتها مرة أخرى موجة من الحنان، كما أخرسها هذه المرة شعور منافس إذ أن فمها جف عندما نظرت إلى كتفيه العريضتين وعضلات جسمه.

حدثتها نفسها بأنها معتوهة لعدم توقعها ذلك. لكن الأحاسيس هزمتها وسرعان ما أدركت السبب.

لقد أقنعت نفسها، أثناء الأيام القليلة الماضية، بأن ردة فعل جسدها ليست أمراً غير عادي. فهي امرأة طبيعية شابة وصحتها سليمة وقد ظنت أنها ستتزوج. هي لن تختار طبعاً رجلاً صدّها لكن هناك رجالاً كثيرين تستطيع الاختيار من بينهم. فأي رجل يستطيع إرضاءها، كجون؟

أدركت فجأة مدى خطئها. لا أحد سوى جون يستطيع أن يرضيها.

كيف لم تدرك ما حدث لها عندما أذابها عناقه؟

أجابها صوت خافت من أعماقها: لأنك خائفة. لم تكن تخشى أن يخيب أملها فيه، فهي أذكى من ذلك. لكنها علمت في أعماقها، حيث تختبىء الحقيقة، أنها خشيت أن تعترف له بحبها. كان امتناعها عن البوح بحبه بمجرد نوع آخر من الإنكار، وما دامت لم تعترف بهذا الحب، فستستمر بالاعتقاد بهذا الوهم الذي اختلقته بعناية، وهو أنها تتزوجه لأسباب عقلانية بحتة.

هزت رأسها مذهولة من سذاجتها.

وضع جون الفرشاة من يده، ونزل السلم والدلو بيده، ثم قال لها: «صباح الخير. هل نمت جيداً؟».

نظرت إليه وابتلعت ريقها، متسائلة عن سبب سؤاله هذا. أتراها فضحت نفسها بشكل ما؟ ربما كانت تتململ بشكل يدعو إلى الشبهة، أو ربما تكلمت، لا سمح الله، في نومها.

قالت: «أظن ذلك. لم؟ هل أقلقت نومك؟».

أجاب ببساطة: «ليس ثمة سبب خاص للسؤال. جيني تراقبنا من الداخل، بالمناسبة. ولن يدهشني أن تنتظر منا دليلاً على حبنا».

حاولت كاثرين ألا ترتجف لهذه الفكرة، ولكن لإدراكها ما سيحدث ومدى تأثير عناقه عليها، وجدت صعوبة في البقاء جامدة حين وضع ذراعه حولها. مالت برأسها إلى الخلف، ثم ابتسمت عندما عانقها. طال عناقه، وارتفعت حرارتها. وأيقنت أن الطريقة الوحيدة لمنعها من الاشتعال، هي أن تذكر نفسها بأنه إذا طالت مدة العناق فلأن لديه سبباً آخر.

تمتمت قريباً من أذنه: «علينا إرضاء جيني بأي ثمن».

رفع رأسه: «نعم، علينا ذلك، لأنها تحضر الليموناضة، وأنا أكاد أموت من العطش».

حاولت كاثرين أن تدفعه عنها، فضحك وأطلق سراحها. ما إن ابتعدت عنه حتى شعرت بأن الحرارة التي أشعلها بداخلها قد انطفأت بسرعة كما لو سقط دلو ماء عليها.

- كوني صديقة لطيفة واحضري لي كأساً بينما أنقل السلم!

فكرت بعنف: صديقة... أهذا كل ما يريده؟ إذا رغبت في أن تتملكه فعليها أن تكون صديقته.

بعد أن ناولته كأسه وتابعت سيرها بعربة البياضات النظيفة، تساءلت عما إذا عنت ردة فعلها الآلية تلك أنها تريده مهما كلف الثمن؟

***

أعاد جون وضع السلم بشكل يصل فيه إلى سقف الشرفة، لكن عقله لم يكن مركزاً على عمله. لقد غيرت كاثرين رأيها، وبدا هذا واضحاً في الطريقة التي تراجعت بها عنه عندما عانقها... كانت ردة فعل جديدة. ولا يعتقد أن السبب في ذلك هو حساسيتها لأن الناس ينظرون اليها. لقد عانقته بتردد وكأنها توقعت منه تصرفاً آخر.

هل أقلقت نومك؟ هذا ما قالته له. بدا السؤال بريئاً، لكنه كان أيضاً شهوانياً تماماً. أتراها لم تدرك تأثيرها عليه؟ أحقاً لم يخطر ببالها أنه يكاد

يصاب بالجنون وهو يراها في السرير الآخر قربه، وكل ما يستطيع فعله هو معانقتها أحياناً وتأملها أحياناً أخرى؟

ربما كان من الخطأ أن يمنحها وقتاً طويلاً تفكر فيه بالأمر، طالباً منها أن تتأكد مما تريد. حسناً، من السهل أن يقول إنه لا يريد أن يتزوجها رغماً عنها، فهذا شيء منطقي وهو سلوك حسن. أراد أن يوضح لها أنها إذا لم تكن واثقة من قيامها بالشيء المناسب، فهو لا يريد أن يتزوجها. لكن الحقيقة هي أنه من الأسهل عليه أن يكون رقيقاً شهماً قبل أن تعاود مراجعة اتفاقيتهما بأكملها.

***

دعاهما سام وجيني إلى العشاء مرة أخرى.

لقد سبق وتحدثا مع القاضي وعينّا موعداً منتصف صباح الجمعة، أي بعد ست وثلاثين ساعة فقط. ما الأعمال التي بقي عليهما القيام بها يا ترى؟

الفرق شاسع بين هذا الجو وذاك الذي أحاط بالعرس الذي هربت منه.

فهي لن ترتدي ثوباً رائع الجمال ولن تضع نقاباً على رأسها، ولن يجرب لها أنطوان تسريحات مختلفة لشعرها. لن يكون هناك وصيفات للعروس ولا مرشدون يقودون الضيوف إلى مقاعدهم ولا خاتم زواج من الماس ولا مجوهرات، ولا حفلة استقبال.

تساءلت عن السبب الرئيسي وراء كل هذه التقاليد في الاعراس. أتراها تهدف إلى إبقاء العروس مشغولة جداً عن التفكير؟ فبغياب الملابس وتصفيف الشعر والخواتم والاهتمام بالطعام تملك العروس لديها وقتاً كافياً تتساءل فيه عن مدى جنونها لإقدامها على الزواج.

عندما تمنيا لسام وجيني ليلة سعيدة، استدارت كاثرين واتجهت مباشرة نحو نهاية النزل. فلحق جون بها متردداً: «أظنني سأسير نحو السوبر ماركت».

أجفلت كاثرين: «لمَ؟ لا أظنك جائعاً بعد كل الطعام الذي ألحت جيني عليك لتتناوله؟».

- لا. أريد فقط أن اتمرن قليلاً.

قالت له دون تفكير: «أتمانع بأن أرافقك؟».

تردد جون. وكادت تسحب سؤالها. إذا لم يكن يريدها. . .

فتحت فاها لتقول له إنها غيرت رأيها عندما قال: «طبعاً لا مانع لدي».

سار باتزان ويداه في جيبه، وحاولت ألاّ تتساءل لما لم يحاول الامساك بيدها.

لاحظت خارج السوبر ماركت مكاناً لبيع الصحف فسألته: «ألديك ما يكفي من النقود لشراء جريدة؟ ها هي ذي صورتنا على الصفحة الأولى. أظن أن علينا شراء نسخة، أليس كذلك؟».

أخرج جون من جيبه حفنة من النقود: «تعتبر هذه الجريدة تذكاراً أكثر ملاءمة من نموذجك لمرآب مدينة وست بودنك».

كشرت كاثرين في وجهه مازحة، وتناولت من راحته عدة قطع من النقود وضعتها في جهاز البيع، ثم فتحت باب الجهاز، وهي تفكر بأنه من السخافة حقاً، أن ترتعش أناملها بسبب ذلك الاحتكاك البسيط بيده.

كانت صحيفة محامي آشغروف أصغر وأرق من كل صحيفة رأتها من قبل. احتلت صورة الاصطدام الذي حدث، معظم الصفحة الأولى. كانت الشاحنة المحطمة واضحة المعالم بحيث اضطرت كاثرين إلى تضييق عينيها والنظر بحدة لكي ترى نفسها في الصورة. وتمتمت: «كانت الموظفة في المحكمة محقة فهذه الصورة تشبهني أكثر من صورة جواز السفر».

نظر جون من فوق كتفها: «تبدين صفراء اللون في الصورة ربما بفعل النور. أتريدين كيس بذور دوار الشمس؟».

- لا شكراً.

عندما عاد، لم يكن وحده بل مع رئيس بلدية آشغروف. صافحها لاري وقال ببشاشة: «لِمَ لم تخبرينا؟».

فسألته بحذر: «أخبرك بماذا؟».

- أنكما تريدان الزواج.

- أظن ما كان بإمكاننا أن نتوقع بقاء هذه القصة مخفية.

- ليس في آشغروف. هنا لا تحدث أشياء كثيرة، وقد سمعت الخبر من مخبر الجريدة الذي كشف عن ذلك في المحكمة عندما أخذ كل السجلات الرسمية للنشر.

- للنشر؟

قالت كاثرين هذا بفتور، وهبط بصرها إلى الصحيفة في يدها. قالت في نفسها إن هذا غير مهم لأن فرصة وقوع هذه الصحيفة في يد أبيها ليقرأ فيها خبر زفافها في المحكمة، أقل من معدومة.

تابع رئيس البلدية: «كان المخبر منزعجاً تماماً لعدم معرفته بهذا الخبر في وقته لينشره. لكنه قال إنه سيتصل بك لكي يسألك إن كان بإمكانه كتابة مقال عن العرس».

قالت: «لا».

قال جون في اللحظة نفسها: «بالتأكيد».

نقل رئيس البلدية نظراته بينهما: «حسناً، يمكنكما أن تتفاهما على ذلك لاحقاً. أعلماني فقط إن كان هناك ما بإمكاني أن أفعله لأجلكما».

تمتمت عندما عادت مع جون باتجاه النزل: «ربما بإمكانه أن يعيرنا سيارة الإطفاء لنهرب بها. ماذا سنفعل يا جون، أعني لنصل إلى البيت؟ نحن لم نفقد بطاقتي المصرفية فحسب بل جعلنا بطاقتك لا قيمة لها لأننا سحبنا بها كل نقودك لإصلاح السيارة. ربما كان عليك أن تقبل بتلك الوظيفة في مرآب تصليح السيارات».

تابع سيره صامتاً بخطوات واسعة وذلك لعدة لحظات: «هل أنت

مستعجلة إلى هذا الحد لمغادرة المدينة؟».

- حسناً، أنا أفضل ألا أرى وصفاً لشهر عسلنا مفصلاً منشوراً في صحيفة آشغروف.

- سأرى ماذا يمكنني فعله.

- ماذا يدور في ذهنك؟

- سأدعك تعلمين عندما أنجزه.

- كنت أظن أننا سنتشارك في كل شيء، المال، المعلومات....

نظر إليها رافعاً حاجبيه وقال بأدب: «حقاً ظننت ذلك؟».

عضت شفتها. لا يمكنها أن تجادله لعدم مناقشة تفاصيل عودتهما إلى مينيسوتا، بينما هي نفسها لا تتحدث عن ذلك. بدا واضحاً أنه يدرك أنها لا تشاركه كل شيء، وتمنت ألا يكون قد تكهن بما تريد إخفاءه عنه.

عندما وصلا إلى غرفتهما في النزل، توقف جون في الخارج: «تصبحين على خير، يا كاتي ماي، أنا سأجلس هنا لفترة وآكل بذوري هذه».

فتحت الباب فشعرت بهواء الغرفة الدافىء المكتوم يندفع إلى الخارج: «نسينا أن نُدير مكيف الهواء مرة أخرى».

وجلست بجانبه.

كانت السماء صافية تماماً. ولم تكن أضواء المدينة الصغيرة تحجب النجوم. فجلست كاثرين القرفصاء وذراعاها حول ركبتيها: «أتمنى لو تعلمت أسماء الكواكب عندما كنت طفلة».

- ماذا كنت تعملين في أوقات فراغك؟

- كل دقيقة منها كانت منظمة سلفاً جون، كيف تكون الحياة حين ينشأ الشخص من دون مربيات وحراس شخصيين؟ لقد نشأت أنت في المزرعة أيضاً وبطريقة مختلفة عما نشأت فيها أنا. ومع ذلك...

- لم يدم ذلك طويلاً. لا تنسي ذلك الباب في السور.

- كم كان عمرك عندما اكتشفته؟

- ثمانية أو تسعة أعوام، بعد وقت قصير من قدومنا لنعيش هناك. كما أنه لم يكن مخبأ حينذاك، والتشدد الأمني في المزرعة لم يكن كما هو عليه منذ التهديد بخطفك.

- هل كنت أنت ووالدك فقط؟ أعني لا أتذكر قط أنني سمعت شيئاً عن أمك.

- لقد ماتت قبل قدومنا إلى المزرعة بعام.

خفضت كاثرين بصرها: «آسفة، لقد خسرت تقريباً كل شيء في الوقت عينه، أليس كذلك؟ أمك، ثم مسقط رأسك، ورفاقك....».

- لقد تدبرت أمري. قدرتي على التنقل في أنحاء المنطقة الريفية كلها ساعدتني كثيراً.

- ألم يكن والدك يقلق عليك؟

- كان يتصور أنه لن يحدث لي شيء مزعج من دون أن يسمع به. لكنه لم يكن يعرف أنني خارج الأسوار.

وأخذ حبة من بذور دوار الشمس: «كاتي ماي، أستتراجعين عن هذا الزفاف؟».

ترددت. لم تره قط بهذا الحزن من قبل، وكأنه يتوقع الجواب. ربما، لهذا، لن يسألها عن السبب.

حدثتها نفسها بحزم بأن تخبره أنها غير قادرة على الزواج به.

لكن صوتاً خافتاً ثائراً في أعماقها سألها فجأة عما يجعلها غير قادرة على المضي قدماً في الزواج. ولمَ اختلف الأمر فجأة؟ لم تتغير الأمور في الأيام الماضية بل وحده فهمها للأمور تغير. في الواقع هي لم تع المشكلة قبل اليومين الأخيرين، وهذا لا يعني أبداً أن المشكلة لم تكن موجودةَ حينذاك. كل ما في الأمر أن تفهمها لنفسها أصبح الآن أفضل.

وها هي الآن تقف على مفترق طرق، وعليها أن تختار الطريق التي

ستسلكها.

يمكنها أن تعترف بأنها سمحت لنفسها بما لم تكن تنوي القيام به قط وهو الوقوع في الحب. لكنها إذا فعلت ذلك، فستنتهيان بشكل أسوأ. ذلك أن جون لن يحصل على الأسهم التي وعدته بها من الشركة، وهي لن تحصل على جون.

بإمكانها الاحتفاظ بسرها في قلبها، والاستمرار في حبه طيلة حياتها. إذا تزوجته فسيحصلان على ما اتفقا عليه. في الواقع، ستتمكن كاثرين من الحصول على أكثر من هذا... على الرجل الذي تحب... شرط ألا تخبره بأنها تحبه إلى هذا الحد.

يا له من خيار صعب، ولكن وللأسف فهي لا تملك خياراً آخر: «لا. لم أتراجع».

ومدت ساقيها: «أجاهز أنت للدخول؟».

- أظنني سأبقى هنا قليلاً بعد.

تملكها شعور بالارتباك ثم جرح في الكرامة: «آه، أيعني هذا...».

وسكتت محاولة أن تهدىء من صوتها: «أيعني هذا أنك كنت ترجو أن أوقف الزواج، وبهذا لن تعود مضطراً إلى أن...».

قال وهو يشتم بصوت خافت: «لا. بل لم أعد أستطيع الاحتمال، يا كاتي ماي. لم أعد أستطيع أن أراك متكورة في السرير كتلك القطة اللعينة من دون أن أدنو منك وأعانقك ولكن ما دمت لست واثقة بالضبط...».

- من قال إنني لست واثقة؟

- لأن ما تقولينه وما تفعلينه غير متناسبين تماماً.

التفتت تواجهه: «آه، ربما أنا بحاجة إذن إلى أن أغير ما أفعله».

ومدّت يدها تلامس كتفه.

فقال بصوت مختنق: «كاتي، الأفضل أن تفكري في هذا».

اقتربت منه برقة حتى أصبحا متلاصقين.

- لم أفعل شيئاً سوى التفكير، يا جون، أما الآن فحان وقت العمل.

* * *

٩ ـ في اللحظة الأخيرة. . .

عندما لامست يدها كتف جون، شعرت بأصابعها ترتجف، توقعاً لا خوفاً. بدا وكأنها تنتظر هذا. . . تنتظره. . . منذ الأزل. . .

وربما، حتى قبل أن تتعرف به، كانت تنتظر، مقتنعة بوجود رجل مناسب لها في مكان ما من العالم. لقد انتظرت حتى فرغ صبرها فاستقر رأيها أخيراً على الزواج من دوغلاس. لكن، وبعد أن اختارته، شيء ما كان يهمس في أعماقها بأن دوغلاس ليس الرجل المناسب وأن هناك شخص أفضل منه في مكان ما، يجب عليها انتظاره.

وبِمَ تفسر إذاً إسراعها في تصديق أسوأ الأمور عن دوغلاس؟ لجون نفسه عاتبها قائلاً إنها لم تمنح الرجل فرصة يدافع فيها عن نفسه.

علمت أنها على صواب. لم تشك أبداً بأنه مقامر وصائد ثروات وقد أثبت ذلك حديثها مع والدها ليلة هربها. . .

ولم يخطر ببالها أن ترسل خادمتها إلى الطابق الأسفل لتستدعي دوغلاس، بدلاً من والدها، فتتأكد منه من صحة ما سمعته. فكرت بأنها لم تشأ الاستماع إلى أعذار وتوضيحات، علمت مسبقاً أنها لن تصدقها. لكن تلك ليست الحقيقة كاملة، فقد تشبثت بكلمات الشخص المجهول كما لو أنه ألقى اليها بحبل النجاة، لأنها علمت في عقلها الباطن أنها لا تريد إتمام هذا الزواج. ليس بسبب دوغلاس فهي لا تخافه بل لأنها ثارت في اللحظة

الأخيرة ورفضت الاستقرار مع رجل يفتقر إلى الميزات التي تحلم بها.

احتكت أناملها بذقن جون فذكرتها خشونة لحيته النابتة بأنه ليس أمير أحلام ساحر كامل، ولكنه دون شك صورة واقعية عنه. لا فهذا جون. . . رجل واقعي حقيقي لا جدال في ذلك.

عانقته بشوق عبّر عن انتظارها له. تأوه جون وشدها إليه بقوة، ليجعلها جزءاً منه. . . بينما تهاوت عليه بكل جوارحها متلهفة.

تركها قبل أن ترتوي من عناقه. حاولت الاحتجاج عندما توقف لكنه دفع الباب بقدمه يفتحه، ودخل الغرفة.

ـ قلت لي إنك لم تعد تحتمل، فماذا حصل؟

لم تستطع كاثرين أن تميز صوتها، فقد كان منخفضاً لاهثاً.

لم يبد على جون أنه يسيطر على نفسه أكثر منها وهو يقول: «سننتظر حتى نقف أمام القاضي لعقد الزواج يا كاثي ماي».

ثم غابت كل قدرته على صياغة الكلمات. فارتمى على السرير ودفن وجهه في وسادته بعجز، بعد أن فقد قدرته على التحكّم بنفسه.

* * *

عندما استيقظ جون كانت الشمس في قبة السماء، وكانت كاثرين لا تزال نائمة. بدت مستغرقة في النوم فابتسم ودثرها بالغطاء جيداً قبل أن يخرج ويجري اتصالاً هاتفياً من موقف السيارات العام.

بذل جهداً بالغاً في ملاطفة سكرتيرة برايان لكي تصله برئيسها دون إعطاء اسمه. وأخيراً جاءه صوت برايان يسأله بانفعال حاد: «ما الذي جعلك تختفي هكذا وما الذي تقصده تماماً؟».

ـ إنه صباح الخميس، برايان. عندما تحدثت إليك ليلة الاثنين، قلت لي إنّ لا أحد افتقدني.

ـ حسناً، يمكن أن يحدث الكثير بين الاثنين والخميس. هناك عدد لا يصدق من الناس يبحثون عنك الآن. أكثرهم يبدو الشر واضحاً من

أعينهم.

- مثل من؟

- سألخص لك أصنافهم، لأن صوتي سيبح حين أتلو لك أسماءهم.

- لا بأس. يمكنني أن أميزهم. هل هودجز واحداً منهم؟

- هذا الرجل متلهف للغاية للعثور عليك.

- ربما سينفعه بعض الشك. اسمع، يا برايان. أريدك أن تخدمني وتقوم ببعض الأشياء لي.

وأخذ يتلو عليه قائمة كوّنها في ذهنه قبل أن يتسلّ من جانب كاثرين.

يبدو أن برايان دوّن كل شيء لأنه بقي صامتاً لحظة إلى أن انتهى جون: «أهذا ما تسميه بعض الأشياء؟ أواثق أنت من أنك لا تريد القمر أيضاً؟».

- لا تزعج نفسك بتقديمه لي على طبق من فضة.

تأوه برايان باختناق: «تباً لك، يا جون. متى ستعود؟».

- هل هودجز يضغط عليك حقاً إلى هذا الحد؟

- ماذا؟ أتظنني أمزح؟ إذا أمكنك العودة اليوم...

- آسف، لدي موعد مع القاضي صباح غد.

- القاضي؟ أخالفت السرعة أو ما شابه؟

- يبدو أن هذه القضية تتحول إلى حكم مؤبد. كفى همهمة غضب يا برايان. كنت أمزح فقط. سأعود إلى العمل حالما أستطيع.

استدار بتكىء بكتفه الأخرى على حامل الهاتف فرأى من بعيد كاثرين قادمة نحوه: «أنا أعتمد عليك في تهدئة كل شخص يا برايان».

وضع سماعة الهاتف لكنه لم يتحرك. بقي يتأمل كاثرين، وينظر إلى شعرها المنسدل بشكل فني، وساقيها المشوقتين. ما أسوأ عدم السماح للأزواج بالتحكم بنسائهم بعد الآن!

سألته عندما وصلت: «هل تتحدث إلى برايان؟ إذا وجده والدي...».

- لم يقل شيئاً عن أبيك. يبدو أن رؤسائي مستاؤون من اختفائي.

قالت بكآبة: «آه، يا جون. لا تقلق على وظيفتك. لا بد أن في شركة كاتي ماي عملاً يمكنك أن تقوم به».

- طبعاً، أما إذا طردك أبوك، فسيصعب عليك إيجاد عمل لي.

- سنذهب عند ذاك ونستلقي على شاطىء البحر في مكان ما نفكر في ما علينا فعله بعد ذلك. علينا فقط أن ننهي هذه الليلة بخير، يا جون.

نظر إليها مسروراً باحمرار وجهها وهي تنتبه إلى معنى ما تقول، ثم قال: «لدي خطط كثيرة لما بعد الليلة، يا عزيزتي».

* * *

أنهت كاثرين تنظيف الغرف التي استؤجرت أثناء الليل، وابتدأت بتنظيف غرفتها عندما رن جرس الهاتف بجانب السرير. توقفت عن مسح غبار المكتب ونظرت إلى الهاتف بذعر. بعد أن رن أربع مرات، أقنعت نفسها بأن ثمة خطأ في الرقم إذ لا يمكن لأحد أن يعثر عليهما.

إلا إذا كان المتصل هو برايان، وذلك في حال أعلمه جون بمكانهما ولكن لماذا يفعل هذا؟ فهو يعرف مدى تسلط والدها. أيثق إلى هذا الحد ببرايان؟

رفعت السماعة، وتملكها الارتياح عندما سمعت صوت جيني: «كاثرين، أيمكنك المجيء إلى هنا لحظة؟».

- هل أنت بخير، يا جيني؟

- أنا بخير، فقط تعالي إلى المكتب حالما تتمكنين من ذلك.

رفعت عن رأسها المنديل الذي تلف به شعرها كيلا يتشعث، وخلعت مئزر العمل، ثم دارت حول عربة البياضات الموضوعة أمام غرفتهما. لا عجب في أن جيني علمت أين تجدها، فقد رأت العربة من الباب الخارجي.

قالت لها جيني: «قصد سام وجون متجر المعدات. أريد أن أريك شيئاً في المكتب».

ـ إذا كان فأرة في فخ أو وطواط، فسيكون عليّ أن أنتظر عودتهما.

ابتسمت جيني: «لا هذا ولا ذاك. أدخلي».

قادت كاثرين عن طريق غرفة الجلوس وردهة ضيقة إلى غرفة نوم لم ترها كاثرين من قبل. لم تكن هذه الغرفة تختلف بشيء عن بقية الغرف لكن بدا واضحاً أنها غرفة جيني. فقد كانت مزينة بلحف ريفية وأثواب عرائس.

طرفت كاثرين بعينيها ثم عادت تنظر مرة أخرى. لا، لم تكن عيناها تخدعانها.

تدلت الأثواب من باب خزانة، ومن مرآة عالية، ومن على قضبان الستائر وانتشرت ثياب على السرير وعلى الكرسي. كان بعضها أبيض، والبعض الآخر عاجياً. كما رأت ثوباً وردياً باهت اللون. كانت جميعها أثواب عرس بعضها بسيط وبعضها مزين بالدانتيل واللؤلؤ، بعضها قصير والبعض الآخر طويل.

سألتها كاثرين متأملة دون أن ترفع عينيها عن الأثواب: «أتؤسسين متجراً لثياب العرائس؟».

قالت جيني بلطف: «لست فيك خيبة الأمل لأنك متزوجين ببنطلون الجينز. أردت أن أقدم لك الثوب الذي ارتديته يوم عرسي، ثم عدت ففكرت في أنه قد لا يعجبك. ولم أشأ أن تشعري بأنك مرغمة على ارتدائه كيفما كان، فمن المؤسف ألا تتمكني من اختيار ما تلبسينه يوم عرسك. ثم خطر ببالي بأنني إذا أردت مساعدتك، فهناك آخرون يريدون الشيء نفسه أيضاً. فهذا ما تتميز به مدينتنا، كما ترين. ولم أفعل شيئاً سوى إرسال نداء في الأنحاء، فإذا بالثياب تنهال عليّ من كل مكان».

عضت كاثرين شفتها بقوة، لكن الألم لم يمنع الدموع من التدفق: «آه... جيني...».

ـ هذه هدية من نساء آشغروف. والآن، ما رأيك؟ أي ثوب تريدين أن تجربي أولاً؟ الأفضل أن نبدأ الآن لأننا نحتاج وقتاً كي نجري التعديلات

اللازمة.

ـ ألا تمانع العرائس في اجراء تعديلات على ثيابهن؟ أنا لا أفكر حتماً في قص القماش، ولكن قد نحتاج إلى بعض التضييق.

ابتسمت جيني: «حسناً، لقد انتهت حاجة العرائس إلى ثيابهن هذه، أليس كذلك؟».

أخذت كاثرين تتأمل كل ثوب متمهلة، وأخيراً قالت: «هذا».

وأشارت إلى ثوب عادي الطول ذي كمين منتفخين، وتنورة ضيقة مع دانتيل على الصدر.

ساعدتها جيني على ارتداء الثوب ثم أخذت تنظر إليها وهي تتمايل أمام المرآة، مسوية التنورة الحريرية على وركيها. همست كاثرين: «إنه رائع».

وتقابلت عيناها مع عيني جيني في المرآة. ورأتها تعض شفتيها فسألتها: «ألا تظنين ذلك؟ ما هو العيب فيه؟».

ـ لا شيء على الإطلاق. إنه ثوبي.

عانقتها كاثرين، محاذرة من إتلاف قماش الثوب الهش: «أظن أنه كان عليك أن تثقي بحسن حكمك منذ البداية. آسفة لأنك أزعجت نفسك للحصول على بقية الأثواب».

ـ رؤيتك تختارين ما تريدين بنفسك، استحق ذلك. والآن، أنت بحاجة إلى حذاء، ما زلت أحتفظ بحذائي في مكان ما، ولا أدري إذا كان مقاسه مناسباً.

* * *

عاد جون وسام من متجر المعدات وراحا يعملان أمام النزل عندما أعادت كاثرين عربة الباضات إلى المكتب. تلاقت عيناها بعيني جون وهو يضع لمبة في سقف الشرفة الأمامية. ابتسم لها فشعرت بقلبها يذوب.

نزل عن السلم ثم تقدم نحوها عابراً موقف السيارات العام.

ـ أحضرت لك شيئاً من المتجر.

أخذت تبحث داخل الكيس، ثم هتفت بسرور وهي تخرج كاميرا. كانت من الطراز البسيط من النوع الذي يستعمل مرة ثم يرمى. كتب عليها (عيد ميلاد سعيد) وزينت الكتابة ببالونات ملونة متألقة. خطرت لها فكرة، فقالت مازحة: «أليس لديهم آلة تصوير للعرس؟».

ـ يجرون تصفية، إذا لم ترغبي في أن تأخذي بها صوراً للعرس، يمكنك أن تأخذي صوراً للقطة تأخذينها معك إلى البيت.

ـ طبعاً سنلتقط بها صوراً للعرس. فقط علينا أن نجد شخصاً يلتقط لنا الصور. أما بالنسبة إلى القطة فكنت أريد أن أتحدث معك بشأنها يا جون.

ـ لا أعتقد أنني أريد أن أسمع هذا.

ـ لا نستطيع أن نتركها هنا بهذا الشكل وليس في هذه المدينة ملجأ للقطط الضالة مثيلاتها.

ـ ولهذا تريدين أن تأخذيها معك؟

ـ أنا أعلم بأن ذلك مزعج فالطريق طويلة... هذا إذا سافرنا. أتظن أن بإمكاننا استئجار سيارة؟

ـ إنها مدينة صغيرة جداً، وأنا أنوي حالياً استعارة عربة سندريلا يا كاتي. أنت تجهلين كيف سيكون حال القطة أثناء السفر...

علمت كاثرين أنه محق، لكنها عضت شفتها بأسف. شتم بصوت خافت: «عندما تنظرين إليّ بهذا الشكل، يا كاتي ماي، أكاد أقسم أنك عدت طفلة في السادسة وأننا نتحدث عن تكسيدو، لا بأس. سأحاول أن أجد حلاً لذلك».

أحاطت عنقه بذراعيها: «أعلم أن بإمكانك ذلك».

ـ قلت فقط إنني سأحاول. ولكن ربما للقطة رأي آخر، كما أن لها مخالب.

وجذبها إلى جانب الطريق، ودفع عربة البياضات بعيداً عن طريق سيارة دخلت لتوها من الشارع. وقفت السيارة بشكل عشوائي، ثم نزلت

السائقة منها. كانت امرأة شابة أكثر أناقة من نساء آشغروف الذين التقت بهن كاثرين.

أدركت كاثرين بعد لحظة لما بدت المرأة مألوفة بشكل غامض. فهي سائقة الكاديلاك التي تجاوزت إشارة السير وصدمت شاحنتهما.

تقدمت كاثرين منها مادة يدها: «ما أجمل أن تأتي لتطمئني علينا. أرجو أن تكوني قد تجاوزت أي تأثير سيء سببه ذلك الاصطدام».

نقلت المرأة نظرها بين الرباط الوردي الذي تربط به كاثرين رأسها أثناء العمل، وعربة البياضات، والقميص الرجالي الكبير الذي ترتديه وهو أحد قمصان سام ولم يبد أنها رأت يد كاثرين: «أنا لم أحضر لزيارتك. جئت فقط كي أحضر شيئاً لجيني. ولذا لا تظني أنني جئت لأعتذر».

قالت كاثرين: «أو لتقدمي على أي عمل يدل على شعورك بالمسؤولية لما حصل. أنا واثقة من أن محاميك فخور بك».

لم يبد على المرأة أنها سمعتها: «وهكذا، فلسوء حظك طبعاً، هبطت إلى درجة تنظيف غرف النزل لكي تجدي سقفاً يظللك. وربما هذا الأمر ليس جديداً عليك. نعم، فنظراً لتلك الشاحنة القديمة المهترئة التي تقودينها، لا بد أنك معتادة تماماً على هذا النوع من الأشياء. أين هي جيني على كل حال؟ لا أعرف لما تريد استعارة حذاء مطرز عالي الكعب ما دامت لا تستطيع السير ولكن، ها هو».

ـ أرجو ألا يكون الحذاء لك.

تمتمت كاثرين بذلك، شاعرة بأنها تفضل أن تذهب إلى عرسها حافية القدمين على أن تستعير حذاء من امرأة كهذه.

ـ لا، بل حذاء أمي. فهي تملك مليون حذاء. أتعلمين؟ أدركت لتوي أن وجهك مألوف حقاً. والآن... أين تراني رأيتك... في مجلة ما، كما أظن أو ربما جريدة.

جمدت كاثرين. كانت قد نسيت تقريباً المقال عن هربها والصورة

المشورتين في الجريدة. كانت قصة العروس الهاربة أهم من أن تمر دون أن تلحظ وآشغروف، رغم أنها مدينة صغيرة، ليست مقطوعة تماماً عن بقية العالم. وقد تكون هذه المرأة، بثيابها ذات التصميم الخاص وحقيبتها المطرزة، من أولئك الذين يلاحظون قصصاً كهذه. . .

ثم ادركت كاثرين أن المرأة لا تنظر اليها بل إلى جون، وأن نظرتها أصبحت دافئة بشكل مبالغ فيه وهي تتأمله.

لم تعرف كاثرين ما إذا كان عليها أن تشعر بالارتياح أم بالاشمئزاز، ولكن وجب عليها كبح شعورها. لا شك أن هذه المرأة ستقول إن جون يشبه زوجها الثاني. رغم انها أعترفت بخجل بأنها لم تتزوج سوى مرة واحدة. . . من المؤكد أن هذه المرأة وقحة بما يكفي لتحقق غرضها.

قال جون ببساطة: «كثيراً ما أسمع بهذا. وهذا لا يعني أنني أبدو كواحد منهم، كما تعلمين، بل لأنهم يبدون مثلي».

أخذت المرأة تقهقه ضاحكة: «أعشق الرجل المعجب بنفسه».

قالت كاثرين بعذوبة مصطنعة: «هل لأنه يشبه رجلك؟ إذا شئت، سأسلم الكيس الذي تحملينه إلى جيني بنفسي لأنني ذاهبة إلى المكتب».

ناولتها المرأة الكيس دون أن تلقي عليها نظرة أخرى لأنها تنظر بنهم إلى جون وكأنه بوظة من النوع الذي تحبه.

هربت كاثرين إلى المكتب وهي تتنفس الصعداء. وضعت عربة التنظيف مكانها، ثم ذهبت لترى جيني: «هذا هو الحذاء الذي طلبته. ولكن، بالنظر إلى من أحضرت الحذاء عليّ أن أضع بين أصابع قدمي ترياقاً ضد السم، خوفاً من أن يكون مسموماً، قبل أن أجربه».

قال جون وهو يقف عند عتبة الباب والرعب بادٍ في عينيه: «ظننت أن لقطتنا مخالب».

تورد وجه كاثرين: «آسفة، فأنا لا أتكلم هكذا عادة. لكنها أغاظتني بقولها (وجهك مألوف). هل من الممكن أن تكون امرأة بهذا الوضوح؟

يدهشني أنها لم تحاول أن تأخذك معها إلى بيتها».

ـ بل فعلت ذلك. لكنني قلت لها إن هذا غير ممكن لأنني إذا لم أبق معك لأرعاك، فهذا سيحطمك. وهكذا قدمت لك، بكل شهامة، وظيفة خادمة لغرف النوم.

عبست كاثرين فيه، فعاد يقول: «أيعني هذا أنك بحاجة إلى وقت للتفكير؟ قلت لها إننا سنطلعها على قرارنا لاحقاً؟».

قذفته كاثرين بالحذاء، فتلقاه بيديه بسهولة وعاد فرشقها به بعيده إليها. قالت جيني بهدوء: «يحتاج الأولاد الذين يتراشقون بالأشياء إلى النوم. اذهبا الآن وارتاحا جيداً».

* * *

جاء صباح عرس كاثرين صاحياً دافئاً. بدا من الصعب أن تصدق بأنها استيقظت منذ أقل من أسبوع على صباح عرس مختلف. . . مختلف جداً في الواقع. . . إذ لم يكن فيه شيء واحد مماثل.

ما عدا العروس. . . فهذا أيضاً يدعو للتساؤل، لأن كاثرين شعرت بأنها امرأة مختلفة جداً عن تلك المرأة التي جلست بصبر زائف طيلة ساعة كاملة أمام المرآة بينما انطوان يصفف شعرها.

فالتوتر الوحيد الذي عانته هو خوفها من التأخر عن موعدهما مع القاضي.

بدا على جون أنه غير مستعجل على الإطلاق. بدا أن كل ما تفعله كاثرين يستغرق ضعفي الوقت الذي يستغرقه عادة. . .

عندما حان دور جون للاستحمام، أسرعت لتجفف شعرها ثم جمعت أدوات زينتها وكتبت له ورقة تقول فيها: (قابلني في المكتب. ستصفف لي جيني شعري). . . وأمور أخرى، كما حدثت نفسها بصوت خافت.

كانت جيني تنتظر كاثرين والثوب العاجي في يدها، حتى أنها وجدت القبعة البيضاء الصغيرة التي لبستها في عرسها. استغرق تثبيتها على رأس

كاثرين بعض الوقت، ولكنها استحقت هذا التعب كما أقرت كاثرين وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.

كان رأي جون مماثلاً أيضاً... كان النفس الطويل الذي جذبه حين رآها أبلغ من أي مديح كان سيقوله.

قال سام بفروغ صبر: «كفى نظراً إلى بعضكما البعض وتعاليا إلى هنا. لا أريد أن نسرع في طريقنا إلى المحكمة، لأن منظرنا لن يكون محترماً».

قالت له جيني: «دع جون يقود إذن. فهو قادر تماماً على ذلك».

- لكنه سيراقب كاثي بدلاً من الطريق، وأنا لا ألومه. تعالوا جميعاً.

لم يستطع سام الخروج بسيارته من الموقف العام فاستعان بالحرس الوطني. ذلك أن صفاً من السيارات وقف على طول الشارع أمام النزل وسدّ الطريق، كما وقفت سيارة إطفاء وسيارة شرطة أما فرقة المدرسة الموسيقية فوقفت على أتم الاستعداد حاملة آلاتها الموسيقية. وظهرت أيضاً فرقة من البنات يمتطين الجياد ويحملن أعلاماً يلوحن بها ووقف وسط العرض حصان أبيض يجر عربة خفيفة عجلاتها عالية وفرشها أحمر.

قالت كاثرين: «أظنك لم تمزح عندما تحدثت عن عربة ساندريلا».

هز جون رأسه: «لا تنظري إلي. لا يد لي في ما حصل».

وجاءهما لاري بنش رئيس البلدية باسماً وفي يده مكبر الصوت: «ما رأيكما؟ إنها فكرتي».

قال جون: «لم أشك في ذلك للحظة».

- يمنحنا هذا تدريباً قبل عروض الأعياد.

ورفع الميكروفون وقال: «قفوا في الصف الآن! ولنذهب!».

انتظر حتى قدمت فتاة صغيرة ترتدي ثوباً من التافتا، وقدّمت إلى كاثرين باقة زهور، ثم ساعدها على الصعود إلى العربة: «لا تتوقعي أن يلوح لك أناس كثيرون على جوانب الطريق، الآن».

- لن أحلم كثيراً.

قدّم رئيس البلدية يده ليساعد جيني على الصعود إلى العربة، ثم تابع حديثه: «لأن أكثرهم أصبحوا الآن في المحكمة ينتظرون. فهم لا يريدون أن تعطلهم زحمة السير عن الوصول إلى المحكمة فيفوتهم العرس».

كبتت كاثرين ضحكها، وما إن استعادت السيطرة على نفسها حتى وصل الموكب إلى المحكمة. اضطرت إلى أن تأخذ نفساً عميقاً وألا تنظر مباشرة إلى جون وهو يحملها من العربة وينزلها إلى الأرض، وإلا فستهرب مرة أخرى.

لم تشم اليوم في المحكمة رائحة الغبار والكتب القديمة بل رائحة اللحوم المشوية والقرفة وصلصات التوابل، مما ذكر كاثرين بأنها ولانشغالها نسيت تناول الإفطار كلياً. فسألت: «هل من مقهى هنا؟».

هزت جيني رأسها: «لا. جمعية نساء الكنيسة تنظم حفلة استقبالك. وقد قررن استعمال قاعة المحكمة الكبرى للحفلة».

- أتعلمين بكل هذا؟

انتصبت جيني واقفة ثم ابتسمت: «حسناً، ليس كله».

جاءت الموظفة التي أخذت طلب رخصة الزواج بسرعة، شاحبة الوجه وهبطت السلم كل ثلاث درجات معاً ثم قالت لاهثة: «لقد اتصل القاضي لتوه. إنه يحكم في حالة طارئة في القسم الثاني من الولاية، وسيتأخر كثيراً».

بسطت كاثرين يديها: «كنت خائفة من أن أتأخر. لم يحدث أي شيء آخر بسهولة، فلِمَ يحدث هذا؟».

ووقعت نظراتها على رئيس البلدية: «يا سيد بنش. لا أظن بإمكانك...».

هز رأسه بأسف: «آسف. ولكنه غير مرخص لرؤساء البلديات إتمام مراسيم الزواج».

قال جون: «ما دام كل ما يجري حول هذا الزواج معكوساً، فلنستمر في هذا النظام ونبدأ العرس بحفلة الاستقبال والتهنئة أولاً».

قال رئيس البلدية ببشاشة: «فكرة رائعة. فليبدأ عزف الموسيقى».

* * *

انخفضت الأصوات في قاعة المحكمة بشكل واضح عند وصول القاضي.

- مرحباً جميعاً.

قال هذا رجل قصير بدين يرتدي الثوب الرسمي الأسود فبدا وكأنه أشبه بقنبلة مدفع بذراعين. نظر إلى الحشد مفكراً ثم ركز نظراته على كاثرين وجون وكأنه عرفهما. ثم قال: «حسناً، فلنبدأ بعمل اليوم. وبعد انتهاء ذلك، يا لاري، يمكنك أن تسكب لي كأساً من عصير العنب الذي تشربونه جميعكم؟».

نظر جون إلى ساعته، ثم من النافذة إلى الشارع السفلي، حيث لا يزال موكب العربات متوقفاً. أمسك بيد كاثرين ثم تبعا القاضي خلال الجموع إلى نهاية القاعة متسائلاً عن سبب كل هذا التأخير.

* * *

شعرت كاثرين بيدها صغيرة باردة في قبضة جون المشجعة. الآن، حانت اللحظة الحاسمة. اضطرت كاثرين إلى الاعتراف بأن والدها كان محقاً بالنسبة إلى الشكوك والقلق التي تتملك العروس في اللحظة الأخيرة. لكن الله يعلم بأنه لو ساورتها شكوك حقيقية لما وقفت هنا الآن. كانت أحداث الأسبوع كفيلة بجعل الفزع يسيطر على أكثر العرائس ثقة بالنفس. إذا لم تجعلها إحدى العقبات التي صادفتهما حتى الآن، تلغي هذا الزواج، فلن يجعلها ارتجافها هذا في اللحظة الأخيرة تلغيه.

رفع القاضي صوته: «فليجلس كل شخص مكانه».

وعندما اتخذ كل شخص مقعداً، بدأت كاثرين تسمع صوت أقدام على السلالم، وخطوات مسرعة في الممر.

- ما هذا؟

سألت، وكان حلقها متوتراً ما جعل صوتها يكاد لا يسمع. كانت جيني واقفة بجانبها، التفتت نحو الباب، ثم قالت بهدوء: «أتصور أن ذلك والدك، يا عزيزتي».

بلعت كاثرين ريقها بصعوبة: «من...؟ كيف عرفت ذلك؟».

قال رئيس البلدية: «آه، معظم الناس في المدينة يعرفون».

وعادت جيني تقول: «ولكن هذا لا يعني أن أحداً في المدينة بلّغ عنك، لأننا جميعاً نرى هذا امرأً شاعرياً للغاية».

همست كاثرين: «ولكن إذا لم يستدعه أحد من المدينة فكيف عرف إذاً بمكاننا؟».

والتفتت إلى جون تلتمس الاطمئنان.

كانت عيناه البنيتان ثابتتين، ويده تمسك بيدها بحزم، دون أن يقول شيئاً.

فتح باب قاعة المحكمة بعنف ودخل والدها محاطاً كالعادة ببطانته. رمقت كاثرين تلك المجموعة بنظرات خائفة، لكن دوغلاس لم يكن بينهم. وهذه بركة.

تنحنح أبوها: «حسناً، يا كاثرين. يبدو أنني ما زلت أتصرف في الوقت المناسب قبل فوات الأوان. آسف لأنني استغرقت كل هذا الوقت يا جون، لكنك نسيت أن تنبهني إلى أنني قد أجد صعوبة في العثور على مواصلات أرضية بعد هبوطنا في المطار. أتعلم كم يبعد ذلك يا ولدي؟».

* * *

١٠ ـ أميرتي الجنية

لو انهارت المحكمة حول كاثرين واستحالت أنقاضاً، لما تملكتها صدمة أقوى من صدمتها برؤية والدها. نظرت إلى جون غير مصدقة: «هل أنت الذي أخبرت أبي؟».

قال: «نعم، لكن الأمر خرج من اليد قليلاً. لم أكن أنوي أن تجري الأمور بهذا الشكل».

ـ أراهن على أنك لم تكن تنوي ذلك، فأنت لم تكن تتوقع الموكب ولا تأخر القاضي. إذاً ماذا كنت تنوي يا جون؟ أن يأتي أبي بعد فوات الأوان فلا يستطيع منع الزواج، وبهذا يمكنك النظر إليه بشماتة وسرور؟ ابن البستاني يتزوج ابنته وهو يعجز عن فعل شيء بهذا الشأن؟

توتر وجه جون كما لو أنها صفعته.

انفطر قلبها. قالت هذا وهي تعلم أن هذا الاتهام هو إهانة له وشعرت بالخجل من قولها هذا. لكنها، في قمة عذابها، خاب أملها به، ولم تستطع منع نفسها من شتمه. ثم عادت تقول: «لكن إخباره بالأمر قبل إتمامه لن يحمل نفس التأثير، أليس كذلك؟».

لم يجب، ولم يرمقها بنظرة حتى. جرحت كرامتها لأنه لم يحاول الدفاع عن نفسه فبدا وكأنه لا يهتم لرأيها لدرجة أنها لا تستحق أن يبرر عمله أمامها.

ـ لقد كذبت عليّ يا جون. كل الاتصالات التي ادعيت خلالها أنك

تكلم برايان، كانت لأبي، أليس كذلك؟ رؤساؤك مستاؤون منك.. يا لها من قصة طويلة.

قال بهدوء: «لم يكن ذلك كذباً يا كاتي، ثمة رجل يدعى برايان، وهو فعلاً يعمل معي. وهو يقف هناك الآن».

تبعت إشارته بعينين تكادان لا تبصران، فرأت شاباً يقف بجوار والدها. لم يكن يبدو عليه أنه من حاشية والدها الذين يرتدون بذلات رسمية عميقة الزرقة، وربطات عنق أفتح لوناً. أما برايان فيرتدي ملابس كاكية اللون.

قالت بارتياب: «إذا كان يعمل معك، فما علاقته بأبي؟».

أجاب بهدوء: «ما دمت لم أطلب منه القدوم، لا أدري ما جعلهما يترافقان».

ـ ربما بينهما علاقة خاصة. أيعقل أن يكون وسيطاً يخبر والدي بكل شيء؟

هز جون رأسه: «لا تلومي برايان على أي من هذا. فأنا اتصلت بوالدك».

كادت تصاب بالغثيان وهي تراه يدافع عن برايان وليس عن نفسه، وأخذت أفكارها تدور بعنف. لم تعد تفهم شيئاً. إذا رغب جون بأن يشمت بوالدها، فلما لم ينتظر إتمام الزواج؟ أو حتى شهر العسل؟ كانت واثقة بأنها وبعد أن تمضي أسبوعاً مع جون ستعود إلى بيتها وقد تملكها رضى أعمى، ولن ترغب بسماع كلمة ضد زوجها الوسيم.

لن يكون لهذا الانتقام نفس التأثير العاصف الذي تملكه هذه المواجهة في مكتب عقد الزواج، لكنها وثقت بأنه أكثر إرضاء. ومن المؤكد أن آخر شيء يريده جون هو تدخل الحظ ووصول والدها بشكل أسرع من المتوقع وتأخر العرس مما سمح لجوك بالتدخل وإيقافه كلياً.

فذلك ما حدث. لكنها حدثت نفسها بأنه من المستحيل أن يخطىء جون

ولا يدرك إمكانية حصول ذلك فهو لطالما بدا ماهراً في وضع الخطط ومراعاة كل الامكانيات أثناء فرارهما.

إذا لم يكن هدفه الشماتة والرضى فما يبغي إذن، ما الذي يدور في رأسه يا ترى؟

هل كان يريد أن يعطل الزواج؟ لا فهذا ايضاً غير معقول. فلم يجبره أحد، وخاصة كاثرين، على المضي قدماً في هذا الزواج...

اخترق جوك الجموع أخيراً قادماً نحوها. عرضت عليه كاثرين خدها ليقبلها، لكنها لم تبتسم أو تحييه.

قبّلها بخفة: «مرحباً، يا حبيبتي. أرى أن اسمي ما زال مدوناً على قائمة الأشخاص الذين لا تريدين رؤيتهم. ربما قد يفيدني إخبارك بأن دوغلاس منع من دخول أملاك آل كامبل مرة أخرى، وأنه خرج من شركة مطاعم كاتي ماي محروساً برجلي أمن مسلحين».

- إذن فقد كان يختلس أيضاً من الشركة.

كانت هذه ملاحظة لا فائدة منها، أدلت بها لأنه كان متوقع منها ذلك.

رفع والدها حاجبيه ونظر إلى جون متسائلاً عن سبب تصرف ابنته بعدم مبالاة ثم قال: «يبدو أنه قد بدأ لتوه، وأنه لم يستعمل ذلك المورد لأنه بدا واثقاً من الزواج منك. إنني مدين لك باعتذار يا حبيبتي، وشكراً لتحذيرك الذي جاء في الوقت المناسب».

أومأت كاثرين: «أقبل اعتذارك».

- والآن، وبعد أن أثبت أنك محقة، لم يعد هناك حاجة لإستمرار هذه المسرحية العاطفية.

المسرحية العاطفية؟ شعرت كاثرين بأنها مربوطة إلى خط السكة الحديدية والقطار يندفع نحوها وليس في الأفق بطل ينقذها.

ولكن من الغريب حقاً أن يستعمل أبوها تلك الكلمة بالذات. ماذا يعرف عما جرى الأسبوع الماضي، على كل حال؟ وكيف علم به؟

تساءلت بكآبة عما إذا كانت بحاجة حقاً إلى السؤال. قال جوك وهو يلتفت إلى جون: «على كل حال، شكراً لعنايتك بها، وحمايتك لها من الخروج عن الطريق الصحيح كلياً. بالمناسبة أنا آسف لعدم تمكنك من الحديث معي مساء الاثنين، ولكن الذنب ذنبك».

ضحك بصوت خافت: «لقد أرسلتني بمهارة في محاولة عقيمة للبحث عنكما من وسكنسن إلى نيفادا. عندما لمحت لصاحب محطة بنزين عن وجهة سيرك، كنت قد أقفلت خط الهاتف في الطائرة، ولهذا لم يستطع أحد الاتصال بي. وعندما أدرك مركز الاتصالات أهمية اتصالك أوصلك بي، لكنك كنت قد أقفلت الخط».

أخذت كاثرين تفكر... مساء الاثنين؟ كان ذلك حين اقترحت البقاء في آشغروف، قبل أن يحصل حتى على رخصة الزواج. اتصل جون بوالدها، وعندما لم يستطع التكلم معه شخصياً، لم يخبرها بتلك المحاولة وتساهل معها في إنجاز ما تريد، متظاهراً بأنه يريد الزواج بها. فكرت بتعاسة، متذكرة الصعوبة التي صادفتهما بالنسبة إلى رخصة السوق، والطريقة التي أخذ يبحث فيها في حقيبتها عن جواز سفرها.

قالت: «في تلك الحالة، يدهشني أنك تأخرت طويلاً في الوصول إلى هنا، يا بابا».

قال وهو يتناول كأس عصير من رئيس البلدية، شاكراً: «لم أعرف مكانكما إلا مؤخراً. لم يشأ جون أن يخبرني به قبل أن يعلم حالتي الذهنية ويتأكد بأنني لن أحضر إليه برفقة مجموعة من المحاربين لأنه هرب مع ابنتي. وبما أنني لم أتمكن من الاتصال به اتفقنا على أن يتصل بي على هاتفي الخليوي واستغرق معرفتي التفاصيل وقتاً. ولكن بعد أن تأكدت من أنك بخير، يا كاثرين، عندئذ لم يعد أمامي سوى محاولة الوصول إلى هنا قبل الزفاف».

- يبدو أنك تعتقد بأنه سيكون هناك زفاف.

سرت كلمات كاثرين في القاعة الحاشدة، فارتفعت الشهقات من

الجموع.

قال أبوها غير واثق: «كاثرين، حبيبتي، أنت لن تفعليها مرة أخرى؟ أنت لن تجعلي الهرب من العرس عادة... أليس كذلك؟».

ـ لقد قلت بنفسك إنه لم يعد هناك حاجة إلى المسرحيات المثيرة.

ـ وهذه غير موجودة، فالهدف من مجيئي إلى هنا التأكد من أنك لا تقدمين على شيء قد تندمين عليه.

فكرت: كأن أقع في حبه! وصل والدها بعد فوات الأوان.

تابع أبوها: «كالزواج لأنك غاضبة مني. هذا السبب لن يكون أساساً جيداً تبنى عليه الحياة. ولكن عندما دخلت القاعة ورأيت طريقة وقوفكما متشبثين ببعضكما البعض...».

وسكت.

لاحظت كاثرين للمرة الأولى أن يدها ما زالت في يد جون، فسحبتها. شعرت بدرجة حرارة الغرفة مقارنة مع دفء يده فبدا وكأنها أدخلت أصابعها في حوض ماء مثلج. تابع والدها: «ما كنت ستفهمين بنفسك بشكل أفضل من ذلك».

رفعت بصرها نحو جون: «آسفة بالنسبة إلى الخمسة عشر في المئة من شركة مطاعم كاتي ماي التي ظننت أنك ستحصل عليها. أظن أن عليك العيش من دونها، لكنني واثقة من أنك ستتدبر أمرك فستتاح لرجل بعقلك الخصب فرصاً جديدة».

ونظرت إلى أبيها، متسائلة إن كان هذا الخبر الصغير السار سيغير موقفه تجاه جون.

اختنق والدها وهو يرتشف جرعة العصير: «ولمَ قد يحتاج إلى ذلك؟».

وعندما حملقت فيه تابع: «أعني أنه يا حبيبتي يستطيع شراءنا معاً».

ومد يده إلى جيبه يخرج جهازاً يشبه الهاتف الخلوي وجهاز التحكم عن بعد ثم تابع يقول: «أتصور يا جون، أن جهاز الإرسال الصغير المبتكر هذا

الذي أحبه كثيراً قد أكسبك مئتي مليون حتى الآن».

قال جون: «ليس لي أنا بالذات».

ـ على وشك أن يكون لك عندما تمتلك الشركة كلها. فامتلاك الأسرة لشركة الكترونيات يمكن أن يكون تنويعاً جيداً في الأعمال، يا كاثرين. إذا استطعت رؤية طريقك إلى...

(أعظم نابغة الكتروني في عصرك) لقد وصفته بهذا متهكمة. ولكن أكان هذا صحيحاً؟ تنحنح القاضي خلف كاثرين فأجفلت بعد أن نسيت أنه موجود.

ـ أظن أن هذا الحديث قد طال بما يكفي، ويلزمكما بعض الانفراد، فإذا شئتما الدخول إلى غرفتي.

وتحرك جوك ليتبعه، لكن القاضي رمقه بنظرة فولاذية سمرته مكانه: «العروسان فقط، من فضلك».

لو خيّر أحدهم كاثرين بين اللحاق بالقاضي أو اقتلاع شعرها من جذوره شعرة شعرة لاختارت الخيار الثاني. لكنها فكرت في ما هو أسوأ من شرح هذا للقاضي، وهو الوقوف في تلك القاعة الحاشدة بأهالي آشغروف، أولئك الناس الذين فعلوا الكثير لأجلها في الأيام القليلة الماضية، مثبتة لهم أنها حمقاء، وأنه لن يكون هناك زفاف.

وها هي تعيد اليهم مكارمهم بإلقائها في وجوههم.

كانت غرفة القاضي صغيرة تكاد لا تتسع للمكتب والكرسيين اللذين فيها. وأغلق الباب خلفهما بحزم، مبعداً همهمة الأصوات المفاجئة التي ارتفعت في قاعة المحكمة ثم قال بحزم: «سأمنحكما نصف ساعة تنفردان فيها. وأقترح عليكما، لراحتكما النفسية المستقبلية، أن تستغلا هذا الوقت للوصول إلى نوع من الاتفاق. ستريان أن هناك بابين خارج هذا المكتب. أحدهما، يؤدي طبعاً إلى قاعة المحكمة حيث الجمهور ينتظر. والثاني يؤدي إلى السلم الخلفي ومن ثم إلى المدخل الجانبي للمبنى. إذا اخترتما، أو اختار

أحدكما أن يسلك ذلك المخرج بدلاً من متابعة عقد الزواج، فاقرعا باب مكتبي، وأنا أعلن النبأ للناس الموجودين في القاعة.

- هذه فكرة حسنة.

قالت كاثرين ذلك وقد اهتز صوتها قليلاً، شاعرة بالزهو بنفسها: «أعني الخروج من الباب الخلفي. ما عدا أن علينا أن نسرق سيارة لنذهب بها. أعني. . . سيارتين».

واجهت جون وذراعاها معقودتان على صدرها وكأنها تريد أن تدفىء نفسها: «إذا لم تكن تريد أن تتزوجني، لكان عليك قول هذا فحسب».

- لقد فهمت الأمر كله خطأ، يا كاتي ماي.

- لا تدعني بهذا الاسم.

- لقد قلت لي أن أدعوك بأي اسم أريد.

- نعم، وقلت لي إننا سنتشارك في كل شيء مناصفة. كان باستطاعتك إخباري يا جون أنك تريد إلغاء الاتفاقية. لم تكن مضطراً إلى قطع كل هذه المدة الطويلة واختلاق هذا الاستعراض. . .

- أنا لم أستدع أباك لأنني أردت إلغاء الاتفاقية.

قالت متهكمة: «آه، هل تريد الزواج بي؟ لقد قدمت لي برهاناً مقنعاً على ذلك».

- لقد رفضت حتى التحدث إليه، ولم تمنحيه فرصة يعتذر فيها لعدم تصديقك أو حتى لتخبريه بأنك بخير. ولهذا اتصلت به. أردتك أن تكوني واثقة من أنك لا تتصرفين نتيجة غضب أو يأس.

هزت رأسها: «أنا لا أصدقك. كنت تخدعني طوال الأسبوع. تمثل، وتسير مع اللعبة، وتؤدي دور الجاسوس».

- أنا لا ألومك لغضبك هذا، يا كاثرين.

استعماله اسمها الرسمي أرسل البرودة في عروقها. كم ستفتقد هذا الرفيق الذي لطالما أغاظها وهو يناديها باسم كاتي ماي. . . لو كان رفيقاً

حقيقياً، وليس شخصاً آخر من صنع مخيلتها.

قالت: «لديك الجرأة لأن تدعي بأنك عامل في شركة الكترونية».

- أنت افترضت ذلك، بينما أنا لم أقل هذا أبداً.

استرجعت في ذهنها حديثهما ذاك، ثم قررت أنه محق. لكن الخداع أسهل عن طريق الصمت منه عن طريق الكذب.

قالت بحدة: «كان بإمكانك أن تخبرني بأنك تملك الشركة اللعينة. لا عجب بأنك رفضت التوقيع على اتفاقية رسمية فسيتوجب عليك الكشف عن كل ما تملكه. كل هذه الأشياء تشوش الذهن فبت لا أدري أين أقف».

- نعم، كان علي أن أخبرك عن وظيفتي، لكنك كنت مصممة جداً على الزواج بصائد ثروات. . .

- وهكذا قررت أن تكون واحداً منهم؟ كم يبعث هذا الغرور في نفسي!

قال: «السبب هو أنني خشيت مما قد تفعلينه إذا أنا لم أفعل هذا. فقد كنت مستاءة للغاية من دوغلاس، ومن أبيك بحيث لم أستطع أن أتنبأ بما ستفعلين. منطقك الخاص القائل بأنه من الفطنة الزواج بشخص تعرفين أنه صائد ثروات ينمّ عن بلاهة. لكن الخطر في الأمر كان إيمانك بذلك ولذا تصورت أنه لن يحدث ضرر أبداً إذا تقمصت هذا الدور. ما دمت تظنينني مناسباً للمواصفات، ستكونين راضية. وأمامك وقت لكي تهدأ أعصابك وتراجعي أفكارك قبل أن تقدمي على شيء تعجزين عن التراجع عنه».

- وهكذا قررت أن تحميني من نفسي.

- بكل تأكيد. سألتك ماذا ستفعلين إذا تركتك، أتتذكرين؟ فقلت إنك ستبحثين عن رجل غيري.

- لم أكن أعني هذا حقاً، يا جون.

- لكنك اخترتني بسرعة.

- كان ذلك مختلفاً.

- لِمَ كان مختلفاً؟ ألأنني ابن البستاني وبهذا أكون قد شربت الولاء

لأسرتكم على مر السنين، ولذلك تثقين بأنني لن أستغل الآنسة كاثرين؟

ـ لا.

شعرت بالعذاب في صوتها، لكنها لم تستطع أن تفسر ما حدث حقاً. لم تستطع أن تخبره أنها رأت فيه رفيق روحها، فالاعتراف بهذا غباء، إذ لن يصدق أنها عرضت عليه الزواج بهذا الشكل الأحمق لأنها تحبه.

قال: «لم أستطع رفض طلبك وأنت في تلك الحالة النفسية المحطمة. كان بإمكانك القيام بأي شيء».

فكرت بأن هذا غير صحيح. فهي ما كانت لتفعل شيئاً لأنها لو لم تحصل عليه فلن ترغب بأحد آخر مطلقاً قالت بمرارة: «ولهذا اتصلت بأبي. لكنك لم تجده، لذا أخذتني معك ريثما تتصل به مجدداً. منحتني أشياء جميلة. أليس كذلك يا جون؟ رخصة زواج، موعداً مع القاضي...».

ساد صمت طويل قال بعده بصوت ثقيل: «أنا آسف لأنك ندمت على ما كان بيننا».

لم تستطع أن تجيب، فقد علمت حتى في غمرة الألم أنها وبعد أن يخف عذابها المبرح هذا، ستحتفظ بذكرى أيامهما معاً في نفسها. لن تكون مسرورة بهذه الذكرى، لأن السرور ينتج عن الذكريات السعيدة، لكنها لا تريد أن تنسى تلك الفترة القصيرة من الزمن حين كان الرجل الذي تحب ملكاً لها.

قال وهو يلتفت نحو الباب: «آسف لكل هذا. هل أرسل إليك أباك حالاً أم أنك تريدين أن تنفردي بنفسك لفترة أولاً؟».

إنه راحل، فلِمَ تهتم إذن؟ قالت بعدم اهتمام: «أتعني أنك لن تتسلل خارجاً من الباب الخلفي كما قال لنا القاضي؟».

توتر فكه: «لا. لن أسلك طريق الجبناء. لا بد أن يواجه أحدنا كل أولئك الناس ويعتذر. ولكن لا سبب يدفعك للقيام بذلك، فلست من أحدث كل هذه الفوضى».

ـ بل أنا. إنها فكرتي منذ البداية.

ـ لن نتجادل في هذا الشأن، يا كاثرين. سأتلقى أنا اللوم. وما من حاجة تدفعك إلى تحمل ذلك الألم.

كانت يده على مقبض الباب حين قالت بهدوء: «هذا هو الأساس، أليس كذلك يا جون؟ هذا هو أساس كل شيء».

توقف: «لا أدري عما تتحدثين».

ـ أنت مضطر لمواجهة كل هؤلاء الناس الطيبين الذين أزعجناهم لأنك تشعر بالشفقة عليّ ولكن هذا ليس كل شيء. لطالما شعرت بالشفقة عليّ، أليس كذلك؟ هذا هو السبب الذي جعلك تسمح لي بأن ألاعب قطك عندما كنت في السادسة من عمري. فبالنسبة إليك، كنت دوماً كاتي الصغيرة المسكينة التي لا أصدقاء لها... التي تعجز عن الاهتمام بنفسها. كاتي المحطمة النفسية التي قد تلتقط أي متشرد تصادفه. هذا هو السبب الذي جعلك تساعدني في الخروج من الأسوار في البداية، وهو السبب الذي جعلك تجاريني في مشروع الزواج.

وارتفع صوتها: «وهذا هو السبب في بقائك معي، أليس كذلك؟».

قال شيئاً بصوت خافت، ثم استدار واتجه اليها وفي عينيه غضب لم تر مثله من قبل، فحبست أنفاسها.

لم يكن في تلك الغرفة الصغيرة مكان تهرب إليه. فتراجعت إلى المكتب وقالت بصوت مرتعش: «دعنا ننسى أنني قلت هذا».

توقف على بعد إنشات منها: «أهذا ما تظنينه حقاً؟ أنني بقيت معك من باب الشفقة؟».

أومأت برأسها غير قادرة على الإنكار.

أخذ يمرر أصابعه على صدغيها برفق، وعلى وجنتيها وذقنها برقة بالغة. وانفرجت شفتا كاثرين وهي تحاول التنفس. قال برفق: «نعم لقد شعرت بالشفقة عليك في البداية، عندما كنت حائرة في المزرعة لا تعرفين

طريقاً للهرب، ولكن عندما أطلعتني على خطتك الحمقاء الغريبة غضبت لأجلك. ثم. . . ثم شعرت بهذا».

وبحركة واحدة سريعة، جذبها إليه يحيطها بذراعيه وأخذ يعانقها بعنف جعل ركبتيها واهنتين للغاية. اعترضته قبعتها فخلعها عن رأسها وأمسك بشعرها يشدها إليه.

تأوهت بشوق، لكنه ظنها تعترض فتركها فجأة. مالت على المكتب، مجاهدة للاحتفاظ بتوازنها، وصدرت أنفاسها بشكل شهقة قصيرة مرتجفة. أصبح صوت جون رقيقاً: «آسف. لم يكن هذا ما نويت القيام به».

قالت متوترة: «لا بأس في ذلك، لا تدعني آخذ من وقتك أكثر يا جون».

ـ أنا لم أقنعك، أليس كذلك؟

ـ ليس تماماً. وعلى كل حال، فهذا غير مهم. أنا أدرك تماماً أنك أمضيت الأسبوع الأخير تلعن ما دفعك لاختيار هذا اليوم بالذات لزيارة والدك.

قال: «لقد لعنت الكثير من الأشياء في الأيام الماضية، ولكن هذا لم يكن واحداً منها. لو لم أكن موجوداً، لما صادفتني ولما كان حدث كل هذا».

قالت بلهجة لاذعة: «هذا بالضبط ما كنت أقوله».

وسكتت لحظة: «أتمني. . . ماذا كنت تعني؟».

ـ أنا لا أعتبره أسبوعاً ضائعاً سدى، إذا كان هذا هو سؤالك. آه، يا حبيبتي. . . لِمَ برأيك كنت هناك، على كل حال؟

كان الجواب واضحاً: «لكي تزور والدك».

ـ أتظنين أنني اخترت أن أزوره في اليوم الذي سيكون فيه مشغولاً على الدوام، فيجب أن تبدو كل عشبة وكل زهرة في المزرعة بأجمل حلة؟

رأت أن ذلك فعلاً غير معقول: «لم أفكر في ذلك. أعني في العمل الإضافي الذي كان عليه القيام به. ولكن كان بإمكانك القدوم إلى العرس.

كما أنها كانت العطلة الأسبوعية، لذا كان بإمكانك أن تمضي معه يوم الأحد. . .».

قال متمهلاً: «عدت ذلك الصباح من مينابوليس وكنت قد قررت العودة في المساء».

ـ لكنني لا أفهم. إذا أخبرك عن العرس. . .

ـ نعم، أخبرني. ولهذا جئت، لكنني لم آتِ من أجل العرس بل جئت لدفن شيء يموت.

بدا الارتباك وتشوش الذهن عليها، ولا بد أن ذلك ظهر على وجهها، فقال بلطف: «جئت لأن حضوري هو الطريقة الفضلى التي استطعت التوصل إليها كي أرغم نفسي على مواجهة حقيقة أنك ستتزوجين».

ـ لم يهمك ذلك؟

ابتسم ابتسامة ملتوية وهو يقول: «لمَ، في الحقيقة، ما دمت لا تعلمين حتى بأنني حي؟ لأنني، يا عزيزتي، عندما كنت في الثالثة والعشرين، جئت إلى البيت في عطلة الشتاء، ورأيتك تغادرين ذات ليلة، ملتفة بفراء أبيض وشعرك منسدل على الياقة وأدركت للمرة الأولى أنك كبرت».

قالت: «هكذا الفتيات عادة».

ـ كنت من أميرات الجن، وحلم كل شاب. وبعد ذلك أصبحت أشبه بشظية في اصبعي.

فكرت في هذا الهبوط المفاجىء بالتشبيه من أميرة الجن إلى شظية، بينما كان يتابع حديثه: «كنت دوماً موجودة أشبه بشظية ضئيلة غير منظورة. في أكثر الأحيان لم تسببي لي سوى ضيق بسيط، ولكن أحياناً أخرى عندما أراك، ينتابني شعور كلسعة الأفعى. فبعد كل تلك السنوات بقي ذلك الشعور ملازماً لي، كلما لمحتك أشعر بأنني عدت مرة أخرى في العشرين من عمري أنظر إلى أميرتي الجنية مرة أخرى».

دعكت صدغيها: «لم أفهم. ألم تحاول قط أن تلتقي بي، يا جون؟».

فبدت عليه الدهشة: «لا بالطبع. فقد كنت أعشق حلماً... كنت أعلم أن هذا غير حقيقي. ولا يمكنه أن يكون حقيقياً أبداً».

التوى قلبها أسفاً. لكن كل ذلك كان مفهوماً فهو لم يكن يحبها قط، لأنه لم يكن يعرفها حقيقة... بل كان يحب أميرة أحلامه الجنية.

قال: «دخلت حياتي نساء كثيرات، لكنني لم أهتم جدياً بواحدة منهن. لم تستطع أي منهن أن تنافس أميرتي الجنية».

ـ هذا مقياس غير عادل أبداً، يا جون.

ـ كنت أعلم أنه من غير المعقول أن أستمر في التفكير، ولكن هذا ما حصل. على كل حال، إلى أن أخبرني أبي أنك ستتزوجين. هذا هو سبب وجودي في المزرعة ذلك اليوم. أردت أن أقول لك وداعاً.

ودت لو تسأله: دون أن تقول مرحباً من قبل؟

ـ كان ذلك أشبه بإخراج الشظية من إصبعي. علمت أنني سأعاني ألماً جهنمياً، وأنه من الأسهل أن أتجاهل ذلك لفترة أطول ولكن شق الإصبع كان الطريقة الوحيدة لشفاء الجرح. ولهذا جئت يوم عرسك لأنني علمت أن عليّ أن أراك متزوجة وسعيدة قبل أن أستطيع الاستمرار في الحياة الحقيقية. وربما أبني علاقة جادة مع إحدى النساء.

تنهدت كاثرين: «إذا بي، بدلاً من ذلك، أركض إليك، وإذا بك ذلك الرجل الشهم الذي أنقذني من نفسي. فيا لسخرية القدر».

فقال بجفاء: «نعم، تلك كانت نيتي في الأساس».

ـ أظن أن عليّ أن أشكرك. أو ربما عليك أن تشكرني لأن هناك شيئاً مؤكداً يا جون، وهو أنك بعد أن أمضيت معي أسبوعاً، نسيت فكرة أميرة الجن بأكملها.

قال بابتسامة صغيرة: «لم يمر وقت طويل قبل أن أدرك أنك لم تكوني بالضبط فتاة أحلامي».

قالت محاولة أن تضيف شيئاً من اللامبالاة، لكنها عادت فندمت على

ذلك: «حسناً، وفر عليّ التفاصيل إذا لم يكن لديك مانع، إذ يمكنني أن أتصورها تماماً».

لم يبد عليه أنه سمع، وهو يتابع بنعومة: «لأن كاتي الحقيقية أفضل ألف مرة من أميرة الجن. فأنا لم أقع في حب حلم... صورة... ولكن بحب امرأة».

انحبست أنفاسها، لكن الحذر تملكها وهي تتذكر أنه لم يتصرف كرجل عاشق: «وهذا الحب أخافك إلى حد جعلك تدعو أبي لإنقاذك».

ـ نعم، أخافني، لأنني أردتك كثيراً إلى حد لم أثق فيه بصحة حكمي كنت خائفاً من أنك إذا تزوجتني لأنك مجروحة من دوغلاس وغاضبة من والدك، فسندفع كلانا ثمناً غالياً لذلك. لكنني لم أستدع أباك لكي ينقذني، بل دعوته لينقذك أنت قبل أن تقدمي على شيء تندمين عليه لاحقاً. وكنت على حق، أليس كذلك؟

ـ إذا كنت تعني أنني ندمت على ما عشته معك...

ـ بدوت هذا الصباح وكأنك ستتوجهين إلى المشنقة بدلاً من العرس.

ـ لكنني لم أكن كذلك!

ـ بدا الأمر لي وكأنك مصممة على إنهاء ذلك، لأنك ظننت أن الوقت قد فات على القيام بأي شيء آخر. صممت على إخبارك ونحن في طريقنا إلى هنا، بأن أباك قد يأتي في أي لحظة وأنه بإمكانك تغيير رأيك. لكنني لم أكن أعلم بمسألة الموكب، أو حفلة الاستقبال، وفجأة، لم يعد هناك وقت. اصطف الناس ليتحدثوا إليك، وتأخر والدك ووصل القاضي.

وسكت، وتنفس بعمق: «ما كنت أريده أكثر من أي شيء في العالم، هو أن أتزوجك يا كاثرين. لكن شرط أن تبادلني الشعور نفسه على كل حال... أظن الوقت قد حان...».

قالت برقة: «للبحث عن القاضي لنخبره بأننا على استعداد».

جمد في مكانه: «كاتي؟».

بدا من صوته وكأنه تلقى ضربة على معدته.

ـ أننا مناسبان لبعضنا البعض. أنت من الذين يحبون تعذيب أنفسهم، وأنا بلهاء. أنت شرعت في إنقاذي رغم علمك بأن هذا سيؤلمك بشكل هائل، وأنا قيدت نفسي كيلا أعترف بأنني أحبك...

وإذا بها بين ذراعيه، وغاب الكلام... لم تعرف كاثرين كم من الوقت مضى على وقوف القاضي عند العتبة قبل أن يلحظا. لكنه ابتسم وقال: «هل نذهب ونقطع الاحتفال؟».

كان جوك يتحدث إلى رئيس البلدية: «لم أجد فرصة ألقي فيها نظرة على الأنحاء، لكن تبدو هذه المدينة، منطقة جيدة لإنشاء فرع من مطاعم كاتي ماي. ولذا، إذا كان الأمر يهمك...».

وتقابلت نظرات جون ببرايان: «أظنك تحمل شيئاً لي».

كفَّ برايان عن النظر إلى كاثرين وسحب من جيبه علبة مخملية صغيرة.

قال جون وهو يفتح العلبة: «إنها خواتم أمي. رأيت أنها تنفع حالياً، وبعد ذلك يمكننا شراء كل ما تريدينه».

قالت برقة دون أن تنظر إلى العلبة: «بل أريد هذه».

حبس جون أنفاسه وعانقها. فقال القاضي: «هذا يكفي، للآن على كل حال».

قال برايان: «أظنك قلت إنه لا دخل لامرأة بغيابك».

ـ لقد سألتني إن كانت شقراء أم سمراء أم حمراء الشعر، فقلت لك ولا واحدة من ذلك.

ـ آه، صحيح. سأتذكر هذا التملص في المستقبل.

ـ لا تزعج نفسك، فأنت لن تحتاج أبداً إلى أن تسألني مرة أخرى. ربما عليّ أن أقدمك إلى كاتي... كاتي. أعرفك ببرايان الإداري النابغة الذي يدير أعمالي. وهذا يذكرني، لِمَ أنت هنا؟ طلبت منك أن تضع هذه العلبة وجواز السفر في الطائرة وترسلهما إلي. لكنني لم أخبرك بأن تأتي إلى هنا.

ـ رأيت أنه من الضروري أن تتحدث عن هودجز.

ـ في ما بعد. الأفضل أن تسأل رفيقك جوك إن كان بإمكانه العودة حتى مينابوليس، لأنني سأستقل الطائرة النفاثة.

سألته كاثرين برقة: «هل عربة ساندريلا طائرة نفاثة؟».

قال جون: «نعم لكنها صغيرة. ولبست نسيحة كنفاثة أبيك».

سأله برايان: «إلى أين أنت ذاهب الآن؟ سيصاب هودجز بنوبة قلبية حادة إذا لم تذهب إليه. فهو دوماً يقول إن البورصة ستنهار إذا اكتشفوا في الأسواق المالية إنك إنسان لا يمكن الاعتماد عليه».

ـ نحن عائدان إلى النزل لكي نحزم تذكارات كاتي ثم نتوجه إلى شهر عسلنا، في أي مكان تريد عروسي أن تذهب إليه. ومع ذلك، إذا لم يكن لديك مانع في القيام برحلة جانبية، يا كاتي، فسأعرج قليلاً على مجلس إدارتي لكي أهدىء من روعهم.

وضعت كاتي إصبعاً على شفتيه وهمست باسمة: «عزيزي... لأجلك أنا مستعدة لنسيان أمر الطائرة النفاثة والذهاب بالسيارة إلى نيفادا».

***